

سِرُّ الخِلافةِ

بقلم:

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني
الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب: سِرُّ الخِلافة

الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

الطبعة الثانية: ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

Sirrul-Khilāfah

By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad (Peace be on him), the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyyah Muslim Jamā'at.

© Al-Shirkatul Islamiyyah

First Published in UK in 2007

Second Edition in UK in 2013

By: Al-Shirkatul Islamiyyah

Islamabad

Sheephatch Lane

Tilford, Surrey GU10 2AQ

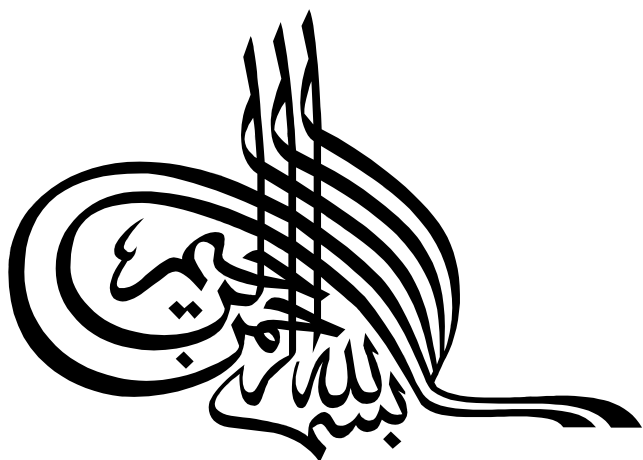
United Kingdom

Printed in UK at:

Raqeem Press

Islamabad

ISBN: 185372 894 2



یہ کتاب

شیخ محمد حسین بنگالی
اور دوسری علماء کفرین
کے الزام اور قاصد اور بھی
مولویت کی حقیقت کو لے
لیکھ کر وعدہ انعام
تائیں ہر شیخ جو یہی کہے
تائیں ہر بالمقام رسالہ
بنائے کیلئے مہلت دے گی جو
اور تائیں ہر روز آفتاب
سے محبوب ہوگی۔

بہر سبب جو یہ کتاب لکھی ہے اس میں
یہ کتاب حکم
بین الشیعہ و اهل السنة و
یجہدی الخی فی الخلائق و انہ یقطع
معاذیر المخالفین و یدرز قارئ المفترین
ولا یستنکر الا من لبس الصفاقة و خلع الصدق
والصداقة و اتبع الکاذبین

کتاب عزیز محکم بفہم العدل

فمحمد بارئنا علی ما اسعدنا

وسمیتہ بالخلافۃ

بما جاء فی تلك المقاصد شد

هذا کتاب سر الخلافۃ من بیخی سبیل الشفاہ

و قد طبع فی المطبع ریاض الہند التمر فی الشہر الذی لک محمد

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

فهرس

- أ كلمة الناشر
- أأ معيار لهداية العيايين
- ١ سرُّ الخلافة
- ٥ التمهيد
- ١٣ الباب الأول في الخلافة
- ٤٩ كلام موجز في فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه
- ٥٣ في فضائل علي رضي الله عنه
- ٥٥ الباب الثاني في المهدي الذي هو آدم الأئمة وخاتم الأئمة
- القصيدة في مدح أبي بكر الصديق وعمر الفاروق
- ٨٨ وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين
- ٩٢ فتنة الارتداد بعد وفاة النبي صلَّى الله عليه وآله
- ٩٢ خروج مدعي النبوة
- ٩٣ استخلافه صلَّى الله عليه وآله أبابكر رضي الله عنه نائبا في للإمامة في الصلاة
- ٩٣ مكان أبي بكر رضي الله عنه من النبي صلَّى الله عليه وآله

- ٩٣ شدة حب أبي بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم
- ٩٤ كتاب الصديق رضي الله عنه إلى قبائل العرب المرتدة
- ١٠٠ من المؤلف (قصيدة)
- ١٠١ الوصيّة
- ١٠٢ الشيخ عبد الحسين الناكفوري
- ١٠٥ المكتوب إلى علماء الهند
- ١١٥ القصيدة للمؤلف



بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر

لقد أَلَّفَ حضرة مزرا غلام أحمد القادياني، الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، هذا الكتاب العظيم بلسان عربي في سلسلة كتبه العربية البالغ عددها نحو خمسة وعشرين كتابا وهي ربع ما كتب حضرته بالعربية والأردية والفارسية.. يحكم به حضرته، بصفته الحَكَم العَدَل الموعود، في أهم خلاف نشب بين المسلمين؛ وهو الخلاف بين الشيعة والسنة. وقد أكد حضرته فيه أنه اختار أن يكتبه بالعربية متوجهاً به إلى العرب محسناً الظن بهم وبصلحائهم وأتقيائهم، وراجياً أن يقبلوه لما يتوخاه منهم من إخلاص وحب للصدق ولائباعه. فقد كان حضرته محبا للعرب بسبب حبه العظيم لسيدته ومطاعه محمد المصطفى عليه السلام، وكان ينتهز كل فرصة للتوجه إليهم في مؤلفاته بكلمات ترق لها القلوب وتفيض حبا صادقا خالصا.

وقد نشأت فكرة تأليف هذا الكتاب إثر توجه بعض الشيعة إليه عليه السلام يسألونه ليحكم في الخلاف بين الشيعة والسنة. ومع أن حضرته قد نشأ في أهل السنة، إلا أنه كان في صباه قد تعرف إلى الشيعة عن كثب حيث كان أحد مشايخهم أستاذا له، فتستت لحضرته عليه السلام الفرصة للاطلاع على أفكار الشيعة وأحوالهم، فأدرك أن سوء الظن وشتم الصالحين قد أودى بهم وقسى قلوبهم.

وبما أن دعوى الشيعة تقوم على تفسيق الخلفاء الراشدين الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان، وغالبية الصحابة - رضوان الله عليهم - فلم يشأ أن يحكم بما تميل إليه نفسه؛ بل فضّل أن يسأل الله تعالى عن حقيقة تلك الدعوى، فكان أن أنبأه الله تعالى بفساد رأي أهل الشيعة وأفكارهم حيث عادوا هؤلاء الأبرار وفسقوهم واعتبروهم في زمرة المنافقين والكافرين، مع أن الصحابة هم خيرة الأخيار وكانوا عند الله من المقبولين وكانوا من تحققت فيهم سمات الخلافة وإماراتها.

فبدأ بتأليف هذا الكتاب متوكلاً على الله تعالى جامعاً فيه الأدلة والبراهين على بطلان هذه العقيدة الباطلة السخيفة التي تحملها الشيعة. وقد كان المبدأ الأول الذي استند إليه حضرته عليه السلام هو أن يتم نبذ الرويات في هذه المسألة جانبا وترك الجدل فيها نظراً لظنيتها ولما يشوبها من تشويه. وهكذا فقد لجأ إلى القرآن الكريم واستخرج منه الأدلة القاطعة والبراهين الناصعة إلى جانب الأدلة العقلية على أن مسلك أهل الشيعة كان مخالفاً تماماً للقرآن الكريم. وبهذا فقد أكد مجدداً على منهجه الفكري الذي تقوم عليه كل أعماله، والذي يقدم فيه القرآن على كل ما سواه ويقدم فيه اليقينيّات على الظنّيات.

وقد تلمس حضرته عليه السلام النقطة الحاسمة التي أوصلت حال الشيعة إلى ما هم عليه، وهي تضخيم فئة وتحقير أخرى وتكفير الآخرين بسبب الخلاف في الرأي والعقيدة. وبيّن أن الكراهية قد أعمت أبصارهم وجعلتهم مائلين إلى الإنكار والتطرف في الرأي. وقد بيّن حضرته أن القرآن الكريم لم ينزع صفة الإيمان عن أي من فئتين متقاتلتين وإن بغت إحداهما على الأخرى وطغت. كما أن القرآن قد سمى المختلفين

من المؤمنين إخوانا رغم خلافهم ورغم ما وقع في صدورهم من غل تجاه بعضهم بعضا، كما تكفل هو ﷺ بنزع الغلّ من صدورهم. وبينّ حضرته عليه السلام أن الخلاف قد يقع نتيجة الاختلاف في الاجتهاد بين أكابر الأتقياء ولا يكون نتيجة فساد نيات فئة دون أخرى، ولكن ينبغي أن يكون المنهج في تلك الحال هو طي هذه المخاصمات لا روايتها وإذاعتها.

وقد دافع حضرته عليه السلام عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقدم الأدلة الساطعة على أنه رضي الله عنه كان من تحققت فيه آية الاستخلاف تحققا كاملا. وذكر مناقبه وأعماله العظيمة للإسلام وأوليّاته وصحبته وملازمته للرسول ﷺ في الحياة وفي الممات. كما دافع عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبينّ مناقبه وأعماله العظيمة. وأكد أنهما أوزيا كما أوزي الأنبياء وجرت عليهما سنتهم وهذه علامة ميراثهما لهم. وكذلك دافع عن علي رضي الله عنه وبينّ أن الشيعة قد أساءوا إليه بما نسبوه إليه مما لا يليق بمكانته ومقامه العظيم. كما دافع حضرته عن عثمان وسائر الصحابة رضي الله عنهم وبينّ أن القرآن يشهد لهم أن الله تعالى قد أزمهم كلمة التقوى وكانوا خيرة عباد الله الصالحين.

وفي الباب الأول من هذا الكتاب الذي يتكون من مقدمة وتمهيد وباين إضافة إلى رسالة وثلاث قصائد، تناول حضرته عليه السلام مسألة الخلافة وناقشها وبينّ حقيقتها ودل عليها. كما تناول في الباب الثاني مسألة المهدي وحقيقة بعثته، وتناول الحال الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية بسبب الفتن الداخلية والخارجية. وبين حضرته أن الله أرسله

إماما مهديا لإصلاح أحوال الأمة الداخلية ومسيحا موعودا لمقاومة الفتنة النصرانية الخارجية، وساق الأدلة على هذه الدعوى. ولم يقتصر هذا الكتاب على تقديم الأدلة النقلية والعقلية فحسب، بل برزت فيه صبغة تحليلية أيضا امتاز بها حضرته، ويّين من خلالها كيفية نشوء الآراء والأفكار الفاسدة وآثار تلك الآراء على من يعتقدون بها إضافة إلى مآل تلك الآراء ومؤداها ونتائجها. كذلك فقد دعا حضرته الشيعة في أوله إلى المباهلة إن لم يقبلوا حجته، ودعا السنة والشيعة في آخره إليها إن لم يقبلوا دعوته وأعرضوا عنها مستكبرين. وهكذا فجاء هذا الكتاب محكما شاملا للأدلة والتحليل مستندا إلى الوحي في بدايته ومشفوعا بدعوة إلى المباهلة إثباتا للحق في أوله وفي آخره. كل ذلك في قالب أدبي عربي فريد رصين مليح ممتع تميزت به كتابات حضرته.

ثمة أمور لا بد من التنويه إليها، وهي:

- ١- اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام، والمحفوطة حاليًا في مكتبة "الخلافة" المكتبة المركزية للجماعة بربوة، باكستان.
- ٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه، وكتبَ - عموماً - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.
- ٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنة العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد ميّزت عن الهوامش الأصلية بالخط المائل.
- ٤- إن تشكيل الكلمات قد تم بحسب الطبعة الأولى، إلا فيما شذ وندر.

٥- كما أن سور وأرقام الآيات القرآنية لم ترد في الأصل بل أضيفت من قبل الناشر في الهامش. علمًا أن أرقامها تبدأ باعتبار البسمة آية أولى من كل سورة.

ولا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء للذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم: مصطفى ثابت، المهندس تميم أبو دقة، هاني طاهر، السيدة مها دبوس، محمد عصام الخامسي، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مبشر أحمد كاهلون، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، الحافظ مظفر أحمد، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، عبد الرزاق فراز، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب فيصلا للحق للطالبيين، وأن ينفع به عباده، وأن يجعله سببا لهدايتهم إلى الصراط المستقيم، آمين.

الناشر

معيار لهداية العيابين ومعرفة الخطأ*

"إن معظم العيابين المستعجلين، وبالأخص الشيخ محمد حسين البطالوي، الذين لا يتصفحون كتبنا العربية إلا بحثاً عن الأخطاء فيها، يُعدّون - بسبب ظلمة التعصب فيهم - سهوً الناسخ أيضاً ضمن قائمة الأغلط. ولكن الحق أنه لا يمكن أن يُعزى إلينا من تلك الأغلط الصرفية والنحوية إلا ما لم يرد صحيحه في موضع آخر من كتبنا. أما إذا ورد في مكان ما لفظ أو تعبير خطأً على طريق الصدفة بينما يكون قد ورد بصورته الصحيحة في عشرات الأماكن الأخرى.. فلا مناص لهم إلا أن يعزوا ذلك الخطأ إلى سهو الناسخ بدلاً من أن يعتبروه غلطاً منا، إن كان فيهم شيء من الإيمان والإنصاف. ولو أنهم أخذوا بعين الاعتبار العجلة التي أَلَّفنا بها هذه الكتب لاعترفوا باقترافهم ظلماً عظيماً، ولعدّوها تأليفاتٍ خارقةً للعادة.

والحق أن القرآن الكريم وحده منزّه عن السهو والخطأ، وأما البشر فلم يسلم كلام أحد منهم من هذا العيب. فإن السيد البطالوي نفسه يعترف بأن الناس استخرجوا أغلطاً حتى من شعر امرئ القيس وكلام الحريري. فهل يمكن لمن عثر صدفةً على خطأً للحريري أو امرئ

* هذه ترجمة النص الوارد باللغة الأردنية في الصفحة التالية من صفحة الغلاف.

القيس أن يُعَدَّ بمكاتتهما؟ كلا. والواقع أن الإتيان بالدقائق والمعارف صعب، أما الطعن والقدح فيمكن أن يقوم به شخص ذو كفاءة عادية بل يتسنى ذلك لشخص غبي محض أيضا.

المدة القصوى المحددة من قبلنا لتأليف كتاب بإزاء كتابنا "حماسة البشرية" و"نور الحق" كانت إلى نهاية يونيو ١٨٩٤م، فانقضت تلك المدة دون أن يبعث أحد من المشايخ طلبه للحصول على الجائزة منا على أساس تأليف كتاب إزاء كتابي، والآن فقد فات الأوان. لا شك أنهم سعوا للطعن والقدح شأن الأغبياء والحساد، حتى إن بعض السذج منهم قد أتوا ببضعة الأخطاء التي حصلت من سهو الناسخ أو بتغافل مني عن طريق الصدفة، طالبين الجائزة مني. غير أنهم ما فتحوا أعينهم قط ليروا أن وعد الجائزة على كل خطأ كان مشروطاً بأن يكتب مثل هذا الشخص أولاً كتاباً بإزاء كتابي؛ وإلا فإن الطاعنين الحاسدين الذين ليس في جمعتهم شيء من الثروة العلمية، يبلغ عددهم في الدنيا الآلاف بل مئات الآلاف، فهل هذا يعني أن نقدم الجائزة لجميع هؤلاء؟ كلا، بل يجب أن يكتبوا أولاً كتاباً بإزاء كتابنا هذا "سر الخلافة" مثلاً، ثم إذا كان كتابهم مبرراً من الأخطاء وكان يضاهي كتابنا في البلاغة والفصاحة، فيمكنهم أن ينالوا منا على كل خطأ يعثرون عليه روبيتين بالإضافة إلى الجائزة التي وعدنا بها على تأليف كتاب مماثل لكتابنا. وإلا فإن الطعن بدون ذلك بعيد عن الحياء. والسلام على من اتبع الهدى.

العبد المتواضع

غلام أحمد

سِرُّ الخِلافةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا مُعْطِيَ الإيمانِ والعقلِ والفكرِ، نَحْضُرُ عَتَبَتِكَ بِطَيِّبَاتِ الحَمْدِ والشُّكْرِ، وَنُدايَ حَضْرَتِكَ بِتَحِيَّاتِ التَّمْجِيدِ والتَّقْدِيسِ والذِّكْرِ، وَنَطْلِبُ وَجْهَكَ بِقِصْوَى الطَّلَبِ، وَنَسْعَى إِلَيْكَ فِي الطَّرْبِ وَالكَرْبِ. نَحْفَدُ إِلَيْكَ وَلَا نَشْكُو الْأَيْنَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَلَا نَأْخُذُ فِي كَيْفِ وَأَيْنِ. وَجَنَّتْكَ مَنقَطَعِينَ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَمَسْتَبْطَنِينَ أَحْزَانًا لِلْقَاعِدِينَ عَلَى السَّرَابِ، وَالْغَافِلِينَ عَنِ الْمَاءِ الْمَعِينِ وَطَرَقِ الصَّوَابِ، وَالْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِينَ يَبْلَعُونَ الرِّيْقَ، وَيَرْفُضُونَ الْكَأْسَ وَالْإِبْرِيْقَ، وَيُعَادُونَ الصَّادِقِينَ. يَتْرَكُونَ الْحَقَائِقَ لِأَوْهَامِ، وَمَا كَانَتْ ظَنُونُهُمْ إِلَّا كَمُخْلِفةٍ أَوْ جَهَامِ، وَلَا يَجِيئُونَ أَهْلَ الْمَعَارِفِ إِلَّا مِتْكَاسِلِينَ، وَلَا يَنْظُرُونَ الْحَقَّ إِلَّا لِأَعْيُنِ. وَهَجَمَتْهُمْ أَوْهَامُهُمْ كَالْبَلَاءِ الْمَفَاجِي فِي اللَّيْلِ الدَّاجِي، فَصَارَ الْعَقْلُ كَالظَّلْفِ الْوَاجِي، فَسَقَطُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مُكَبِّينَ. وَالتَّحَصَّهُمْ تَعْصَبُهُمْ إِلَى الْإِنْكَارِ، وَأَسْفَوْا عَلَى الْوَاعِظِينَ، وَوَلَّوْا الدَّبْرَ كَالْفِرَارِ. وَامْتَلَأُوا حَسَنَةً وَحَقْدًا، وَنَقَضُوا عَهْدًا وَعَقْدًا، وَطَفَقُوا يَسْبُونَ النَّاصِحِينَ. وَمَا كَانَ فِيهِمْ إِلَّا مَادَّةُ غِبَاوَةٍ، رُكِّبَ بِيَاثَوَةٍ، فَأَدَارُوا رَحَى الْفِتَنِ مِنْ عِدَاوَةٍ، وَسَفَا تُرْبَهُمْ رِيحُ شِقَاوَةٍ، فَبَعَدُوا عَنِ حَقِّ وَحِلَاوَةٍ، وَجَلَّوْا عَنِ أَوْطَانِ الصِّدْقِ تَائِهِينَ. كَثُرَتْ الْفِتَنِ مِنْ حَوْوَلِ طِبَائِعِهِمْ، وَخُدِعَ

الناس من اختداعهم. ربّ فارحم أُمَّة محمد وأصْلِحْ حالهم، وطَهِّرْ بهم وأزِلْ بلباهم، وصلِّ وسلِّم وبارك على نبيِّك وحبيبتك محمد خاتم النبيين، وخير المرسلين، وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه عمائد الملة والدين، وعلى جميع عبادك الصالحين. آمين.

أما بعد.. فاعلم أيها الأخ الفطن، أن هذه الأيام أيامٌ تتولد فيه الفتن كتولّد الدود في الجيفة المتنتنة، وتضطرم فيه الأهواء كاضطرام النيران من الحُشْب اليابسة. وأرى الإسلام في خطرات من إعصار هذا الزمان، وصراصر هذا الأوان. قد انقلب الزمن واشتدت الفتن، وازورّت مُقلّتا الكاذبين مغضبين على الصادقين، واحمرّت وجنتنا الطالحين على الصالحين. وما كان تعبّسهم إلا لعداوة الحق وأهله، فإن أهل الحق يفضح الخؤونَ ويُنجي الخلق من وَحله، ولا يصبر على كلمات الظالم وجوره، بل يرد عليه من فوره، ويصول على كل مريب لتكشيف مَعيب، وهتكِ سترِ المدلّسين. وكذلك كنتُ ممن أسلمتْهم محبّة الحق إلى طعن المعادين، وانجرّ أمرهم من حماية الصدق إلى تكفير المكفرين.

وتفصيل ذلك أن الله إذا أمرني وبشّرني بكوني مجدّد هذه المائة، والمسيح الموعود لهذه الأمة، وأخبرتُ المسلمين عن هذه الواقعة، فغضبوا غضبا شديدا كالجَهلة، وساءوا ظنا من العجلة، وقالوا كذّاب ومن المفترين. وكلما جئتْهم بثمار من طيبات الكَلِم، أعرضوا إعراض البَشِم، حتى غلظوا لي في الكلام، ولسعوني بجمّة الملام. ونصحت لهم وبلّغت حق التبليغ مرارا، وأعلنتُ لهم

وأَسْررت لهم إسراراً، فلم تزل سحبُ نصاحتي تبدو كالجَهم، ونخبُ مواعظي تزيد شقوة اللثام، حتى زادوا اعتداءً وجفاءً، وطبع الله على قلوبهم فاشتدوا دناءةً وداءً، وكانوا على أقوالهم مصرّين. ولعنوني وكذّبوني وكفّروني وافتروا من عند أنفسهم أشياء، ففعل الله ما شاء، وأرَى المكذّبين أنهم كانوا كاذبين. وطردي كل رجل وَحْداني، إلا الذي دعاني وهداني، فحفظني بلمحاتِ ناظره، وربّاني بعناياتِ خاطره، وجعلني من المحفوظين.

وبينما أنا أفرّ من سهام أهل السُنّة، وأسمع منهم أنواع الطعن واللعنة، إذ وصلني بعض المكاتيب من بعض أعزة الشيعة وعلماء تلك الفرقة، وسألوني عن أمر الخِلافة، وأمارات خاتم الأئمّة، وكانوا من طلباء الحق والاهتداء، بل بعضهم يظنون بي ظن الأحبّاء، ويتخذونني من النصحاء، ويذكرونني بخلوص أصفى وقلب أزكى، فكتبوا المكاتيب بشوق أبهى وحرّة عظمى، وقالوا حيّهلُ بكتاب أشفى، يشفينا ويروينا ويهب لنا برهانا أقوى. ثم أرسلوا إليّ خطوطاً تترى، حتى وجدتُ فيها ريح كبدٍ حرّى، فتذكرتُ قصّتي الأولى، واثنيتُ أقدّم رجلا وأوخرَ أخرى، حتى قولاني ربي الأغنى، وألقى في روعي ما ألقى، فنهضتُ لشهادة الحق الأجلّى، ولا أخاف إلا الله الأعلى، والله كاف لعباده المتوكّلين.

واعلم أن أهل السُنّة عادوني في شرّخ شأني، والشيعة كلّموني في إقبال زماني، وإني سمعتُ من الأولين كلمات كبيرة، وسأسمع من الآخرين أكبر منها، وسأصبر إن شاء الله حتى يأتيني نصر ربي، هو

معي حينما كنت؛ يراني ويرحمي، وهو أرحم الراحمين. ورأيت أكثر أحزاب الشيعة لا يخافون عند تطاول الألسنة ولا يتقون ديان الآخرة، ولا يجمعون نشوب الحقيقة، ولا يذوقون لبوب الطريقة، ولا يفكرون كالصلحاء، ولا يتخيرون طرق الاهتداء، فرأيت تفهيمهم على نفسي حقاً واجباً وديناً لازماً، لا يسقط بدون الأداء. فكتبت هذه الرسالة العُجالة، لعل الله يصلح شأنهم ويبدل الحالة، ولأبين لهم ما اختلفوا فيه، وأخبرهم عن سرّ الخلافة، وإن كان تأليفي هذا كولد الإصافة، وما ألفتها إلا ترحماً على الغافلين والغافلات، وإنما الأعمال بالنيات. وأتيقن أن هذه الرسالة تُحفظ كثيراً من ذوي الحرارة، فإن الحق لا تخلو من المرارة، وسأسمع من علماء الشيعة أنواع اللعنة، كما سمعتُ من أهل السنة.

يا رب.. لا توكل إلا عليك، ولا نشكو إلا إليك، ولا ملجأ إلا ذاتك، ولا بضاعة إلا آياتك، فإن كنت أرسلتني بأمرك لإصلاح زُمرِك، فأدرِكني بنصرِك، وأيدني كما تُؤيد الصادقين. وإن كنت تحبني وتختارني فلا تُخزني كالملعونين المخدولين. وإن تركتني فمن الحافظ بعدك وأنت خير الحافظين؟ فادرأ عني الضراء، ولا تُشمت بي الأعداء، وانصربي على قوم كافرين.

أما الرسالة فهي مشتملة على تمهيد وبأين، وفيها هدايات لذوي العينين ولقوم متقين. وأسأل الله أن يضع فيها بركة، ويضممها بعطر التأثير رحمة، ولا علم لنا إلا ما علّمنا وهو خير المعلمين.

التمهيد

أيها الأعزة.. اعلّموا، رحمكم الله، أي امرؤٌ علّمتُ من حضرة الله القدير، ويسّرني ربي لكل دقيقة، ونجاني من اعتياص المسير، وعافاني وصاباني وأسرى بي من بيت نفسي إلى بيته العظيم الكبير. فلما وصلتُ القبلة الحقيقية بعد قطع البراري والبحار.. وتشرفت بطواف بيته المختار، وخصصني لطفُ ربي بتجديد المدارك وإدراك الأسرار، وكان ربي خِدني ووُدودي، واستودعته كلَّ وجودي، وأخذتُ من لذه كلَّ علم من الدقائق والأسرار، وصبغتُ منه في جميع الأنظار والأفكار، صرفتُ عنان التوجه إلى كل نزاع كان بين فِرَق القوم والملة، وفتّشتُ في كل أمر من السبب والعلة، وما تركتُ موطنًا من مواطن البحث والتدقيق، إلا واستخرجتُ أصله على وجه التحقيق. وعرفتُ أن الناس ما أخطأوا في فصل القضايا، وما وقعوا في الخطايا، إلا لميلهم إلى طرف مع الدهول عن طرف آخر، فإنهم كبروا جهة واحدة بغير علم وحسبوا ما خالفها أصغر وأحقر. وكان من عادات النفس أنها إذا كانت مغمورة في حُبِّ شيء من المطلوبات، فتتسى أشياء يخالفه، ولا تسمع نصيحة ذوي المواساة، بل ربما يعاديهم ويحسبهم كالأعداء، ولا يحاضر مجالسهم ولا يصغي إلى كلماتهم لشدة الغطاء. ولهذا المفاصد علل وأسباب وطرق وأبواب، وأكبر علله قساوة القلوب، والتمايل على الذنوب، وقلة

الالتفات إلى محاسبات المعاد، وصحبة الخادعين والكاذبين من أهل العناد، وإذا رسخوا في جهلهم فتدخل العثرات في العادات، وتكون للنفوس كالمراتد، فنعوذ بالله من عثرات تنتقل إلى عادات وتلحق بالهالكين. وربما كانت هذه العادات مستتعبة لتعصبات راسخة من مجادلات. والمجادلات النفسانية سُمُّ قاتل لطالب الحق والرشاد، وقلما ينجو الواقع في هذه الوهاد. وقد تكون العلل المفسدة والموجبات المضلة مستترة، ومن العيون مخفية، حتى لا يراها صاحبها ويحسب نفسه من المصبيين المنصفين. وحينئذ يسعى إلى المشاجرات، ويشتد في الخصومات*، وربما يحسب خيالا طفيفا ورأيا ضعيفا كأنه حجة قوية لا دحوض لها، فيميس كالفرحين. وسبب كل ذلك قلة التدبر وعدم التبصر، والخلو عن العلوم الصادقة، وانتقاش صور الرسوم الباطلة، والانتكاس على شهوات النفس بكمال الجنوح والحرمان من مذوقات الروح وعجز النظر عن الطموح والإخلاء إلى الأرض والسقوط عليها كعمين.

وهذه هي العلل التي جعلت الناس أحزابا، فافترقوا وأكثرهم تخيروا تباها، وكذبوا الحق كذبا، بل لعنوا أهله كالمعتدين، وصالوا كخريج مارق على المحسنين، ونظروا إلى أهل الحق بتشامخ الأنوف، وتغيظ القلب المؤوف، وحسبوا أنفسهم من العلماء والأدباء، وسحبوا ذيل الخيلاء، وما كانوا من المفلقين. ومنهم الذين نالهم من

* لعله سهو الناسخ والصحيح: "الخصومات". (الناشر)

الله حظاً من المعرفة، ورزق من الحق والحكمة، وفتح الله عيونهم وأزال ظنونهم، فرأوا الحقائق محققين. ومنهم قوم أخطأوا في كل قدم، وما فرقوا بين وجود وعدم، وما كانوا مُستبصرين. أصروا على مركوزات خطرهم، وخطوات خطيئهم، ولباس سيئاتهم، وكانوا قوماً مفسدين.

وإذا نزعوا عن المراس بعد ما نزعوا لاء* البأس، ويتسوا من الجحاس، مالوا ميلاً واحدة إلى الإيذاء بالتحقير والازدراء، وبنحت البهتان والافتراء والتوهين. وكلما خضعت لهم بالكلام مالوا إلى الإرهاق والإيلام، وكادوا يقتلونني لو لم يعصمني ربي الحفيظ المعين. فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم وزاد ذنوبهم، وتركهم في ظلمات متخبطين. فنهضتُ بأمر الله الكريم، وإذن الله الرحيم، لأزيل الأوهام وأداوي السقام، فاستشاطوا من جهلهم غضباً، وأوغلوا في أثري زرايةً وسباً، وفتحوا فتاوى التكفير ودفاتر الدقارير، وصالوا علياً بأنواع التزوير، ولدغوني بلسان نضناض، وداسوني كرضراض. وطالما نصحتُ فما سمعوا، وربما دعوتُ فما توجهوا، وإذا ناضلوا ففروا، وإذا أخطأوا فأصروا وما أقرّوا، وما كانوا خائفين. واجتروا على خيانات فما تركوها وما ألغوها، حتى إذا الحقائق اختفت، وقضية الدين استعجمت، وشموس المعارف أفلتتْ وغرّبتْ، ومعارف الملة اغترّبت وتغرّبت، والدواهي اقتربت ودنت وغلبت، وبيتُ

* يبدو أن "د" سقطت من هنا سهواً، والصحيح: "دلاء". (الناشر)

الدين والديانة خلا، والأمن والإيمان أجفلا، ورأيت أن الغاسق قد
 وقب، ووجه المحجة قد انتقب، فألفتُ كُتُبًا لتأييد الدين، وأترعتها
 من لطائف الأسرار والبراهين، فما انتفعوا بشيء من العظات، بل
 حسبوها من الكليم المحفظات، وما كانوا منتهين.

ثم إذا رأوا أن الحججة وردت، والنار المضرمة بردت، وما بقي
 جمرَةٌ من جمر الشبهات، فركنوا إلى أنواع التحقيرات، وقالوا من
 أشرط المجدد الداعي إلى الإسلام، أن يكون من العلماء الراسخين
 والفضلاء الكرام، وهذا الرجل لا يعلم حرفا من العربية، ولا شيئا
 من العلوم الأدبية، وإنا نراه من الجاهلين، وكانوا في قولهم هذا من
 الصادقين. فدعوتُ ربي أن يُعلِّمني إن شاء، فاستجاب لي الدعاء،
 فأصبحتُ بفضل عارف اللسان، ومليح البيان، ومن الماهرين. ثم
 ألفتُ كتابين في العربية مأمورا من الحضرة الأحدية، وقلتُ يا معشر
 الأعداء، إن كنتم من العلماء والأدباء، فأتوا بمثلها يا ذوي الدعاوي
 والرياء إن كنتم صادقين. ففرّوا واختفوا كالذي اذّان عند صفر
 اليدين، وما أفاق إلا بعد إنفاق العين، فما قدر على الأداء بعد
 التطوق بالدين، ولازمه مستحقّه وجدّ في تقاضي اللّجين، فما كان
 عنده إلا مواعيد المين؛ كذلك يخزي الله قوماً متكبرين.

والعجب أنهم مع هذا الخزي والذلة، وهتك الأستار والنكبة، ما
 رجعوا إلى التوبة والانكسار، وما اختاروا طريق الأبرار والأخيار،
 وما صلح القلب المؤوف وما تقوضت الصفوف، وما سعوا إلى الحق
 نادمين، بل لووا عني العذار، وأبدوا التعبس والازورار، وكانوا إلى

الشر مبادرين. ورأيتهم في سلاسل بخلهم كالأسير، وما نصحتُ لهم نصحا إلا رجعتُ يائسا من التأثير، حتى تذكرتُ قصة القردة والخنازير، واغرورقت عيناى بالدموع إذ رأيتُ ذوي الأبصار كالضير، وإني مع ذلك لستُ من اليائسين.

وقيض القدر لهنك أستارهم وجزاء فجّارهم أنهم عادوا الصادقين وآذوا المنصورين، وحسبوا الجدّ عبثا والحق باطلاً، فكانوا من المعرضين. وإني أراهم في لددٍ وخصامٍ مُذ أعوامٍ، وما أرى فيهم أثر التائبين. فأردتُ أن أتركهم وأعرض عن الخطاب، وأطوي ذكرهم كطيّ السجلّ للكتاب، وأتوجه إلى الصالحين. ولو أن لي ما يوجههم إلى الحق والصواب لفعلته، ولكني ما أرى تديبرا في هذا الباب، وكلما دعوتهم فرجعوا متدهدين، وكلما قدّمهم ففقهروا مقهقين. بيد أني أرى في هذه الأيام أن بعض العلماء من الكرام رجعوا إلي وانتشرت عقود الزهامة، وزال قليل من الظلام، وتبرعوا من حُبث أقوال الأعداء، وأدهشهم الإدلاج في الليلة الليلية، وجاءوني كالسعداء، فقلت: بَخْ بَخْ لهذا الاهتداء، وهداهم ربهم إلى عين الصواب من ملامح السراب، فوافوني مخلصين، وشربوا من كأس اليقين، وسُقوا من ماء معين، وأرجو أن يكمل الله رشدهم ويجعلهم من العارفين. كذلك أدعو لنظارة هذا الكتاب، أن يوفقههم الله لهم لتخيّر طرق الصواب، ومن بلغ أشدّه في نشأة روحانية، فسيقبل دعوتي بتفضلات ربانية، وقد سوّيت كلماتي لكل من يصغي إلى عظامي، والله يعلم

مجالبها ويدي طالبها، ولا تتخطى نفس فطرتها، ولا تترك قريحة شاكلتها، ولا يهتدي إلا من كان من المهتمدين.

اعلموا، رحمكم الله، أن قومًا من الذين قالوا نحن أتباع أهل البيت ومن الشيعة قد تكلموا في جماعة من أكابر الصحابة وخلفاء رسول الله ﷺ وأئمة الملة، وغلّوا في قولهم وعقيدتهم، ورموهم بالكفر والزندقة، ونسبواهم إلى الخيانة والغضب والظلم والغيّ، وما انتهوا إلى هذا الزمان وما فاء منشَرُهم إلى الطيّ، وما كانوا منتهين. بل استحلّوا ذكْرَ سبِّهم، وتخيَّروه في كل حَبِّهم، وحسبوه من أعظم الحسنات بل من ذرائع الدرجات، ولعنوهم واستجادوا هذا العمل وشدوا عليه الأمل، وظنوا أنه من أفضل أنواع الصالحات والقربات، وأقرب الطرق لابتغاء مرضاة الله وأكبر وسائل النجاة للعابدين. وإني لبثتُ فيهم بُرْهَةً من الزمان، ويسّر لي ربِّي كل وقت الامتحان، وكنتُ أتوجس ما كانوا يُسرّون في هذا الباب، وأصغي إلى كل طرق الاختلاب. وقبض القدر لحسن معرفتي أن عالما منهم كان من أساتذتي، فكنت فيهم ليلا ونهارًا، وجادلتهم مرارًا، وما كان أن تتوارى عني حبيبتهم أو يخفى علي رؤيتهم، فوجدتُ أنهم قوم يُعادون أكابر الصحابة، ورضوا بغشاوة الاسترابة. ورأيت كل سعيهم في أن يفرط إلى الشيخين ذمًّا، أو يلحقهما وصمًّا، فتارة كانوا يذكرون للناس قصة القرطاس، وتارة يشيرون إلى قضية الفدك، ويزيدون عليه أشياء من الإفك، وكذلك كانوا مجترئين على افتراءهم وسادرين

في غلوائهم، وكنتُ أسمع منهم ذمَّ الصحابة وذمَّ القرآن وذمَّ أهل الله وجميع ذوي العرفان، وذمَّ أمَّهات المؤمنين. فلما عرفتُ عود شجرتهم وخبثة حقيقتهم أعرضتُ عنهم وحبَّبتُ إليَّ الانزواء، وفي قلبي أشياء. وكنتُ أتضرع في حضرة قاضي الحاجات، ليزيدني علماً في هذه الخصومات، فعلمتُ رشداً من الكريم الحكيم، وهُديتُ إلى الحق من الله العليم، وأخذتُ عن رب الكائنات وما أخذتُ عن المحدثات، ولا يكمل رجل في مقام العلم وصحة الاعتقادات إلا بعدما يلقي العلوم من لدن خالق السماوات، ولا يعصم من الخطأ إلا الفضل الكبير من حضرة الكبرياء، ولا يبلغ أحدٌ إلى حقيقة الأمور ولو أفنى العمر فيها إلى الدهور، إلا بعد هبوب نسيم العرفان من الله الرحمن، وهو المعلم الأعظم والحكيم الأعلَم، يُدخل من يشاء في رحمته، ويجعل من يشاء من العارفين. وكذلك منَّ الله عليَّ ورزقني من العلوم النخب، وجعل لي نوراً يتبع الشياطين كالشهب، وأخرجني من ليلة حالكة الجلباب إلى نهار ما غشاه قطعة من الرباب، وطرد كلَّ مانع عن الباب، فأصبحتُ بفضلِه من المحفوظين. وأُعطيتُ من فهمٍ يخرق العادة، ومن نور ينير الفطرة، ومن أسرار تعجب الطالبين. وصبَّغ الله علمي بلطائف التحقيق، وصفها كصفاء الرحيق، وكل قضية قضى بها وجداني أرائها الله في كتابه ليزيد اطميناني، ويتقوى إيماني، فأحاطت عيني ظهر الآيات وبطنها وظعاينها وظعنها، وأُعطيتُ فِرَاسة المحدثين. وأعطاني ربي أنواع

فهم جديد لكل زكي وسعيد، ليصلح المفاصد الجديدة ويهدي
الطبائع السعيدة، ومن يهدي إلا هو، وهو أرحم الراحمين. نظر
الزمان ووجد أهله قد أضاعوا الإيمان، واختاروا الكذب
والبهتان، مَنْ ائْتَمَنَ مِنْهُمْ خَانَ، وَمَنْ تَكَلَّمَ مَانَ، فَنَفَخَ فِي رُوعِي
أَسْرَارًا عَظِيمَةً، وَكَلِمَاتٍ قَدِيمَةً، وَجَعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ النَّبِيِّينَ، وَقَالَ
إِنَّكَ مِنَ الْمَأْمُورِينَ لِتَنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ
الْمُجْرِمِينَ.

الباب الأول

في الخلافة

اعلم، سقاك الله كأس الفكر العميق، أي علّمتُ من ربي في أمر الخلافة على وجه التحقيق، وبلغتُ عمق الحقيقة كأهل التدقيق، وأظهر عليّ ربي أن الصديق والفروق وعثمان، كانوا من أهل الصلاح والإيمان، وكانوا من الذين آثرهم الله وخصّوا بمواهب الرحمن، وشهد على مزاياهم كثير من ذوي العرفان. تركوا الأوطان لمرضاة حضرة الكبرياء، ودخلوا وطيس كل حرب وما بالوا حرّ ظهيرة الصيف وبرد ليل الشتاء، بل ماسوا في سبل الدين كفتية مترعرعين، وما مالوا إلى قريب ولا غريب، وتركوا الكل لله ربّ العالمين. وإن لهم نشرًا في أعمالهم، ونفحات في أفعالهم، وكلها ترشد إلى روضات درجاتهم وجنات حسناتهم. ونسيمهم يُخبر عن سرهم بفوحاتها، وأنوارهم تظهر علينا بإناراتها. فاستدلّوا بتأرجح عرفهم على تبلّج عرفهم، ولا تتبعوا الظنون مستعجلين. ولا تتكنوا على بعض الأخبار، إذ فيها سمّ كثير وغلوّ كبير لا يليق بالاعتبار، وكم منها يشابه ريجًا قلبًا، أو برقًا خلبًا، فاتق الله ولا تكن من متبعيها، ولا تكن كمثل الذي يجب العاجلة ويتغيها، ويذر الآخرة

ويُليغها. ولا تترك سبل التقوى والحلم، ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم، ولا تكن من المعتدين. واعلم أن الساعة قريب والمالك رقيب، وسيوضع لك الميزان، وكما تدين تُدان، فلا تظلم نفسك وكن من المتقين.

ولا أجادلكم اليوم بالأخبار، فإنها لها أذيال كالبحر الزخار، ولا يُخرج منها الدررَ إلا ذو الأبصار، والناس يكذبون بعضهم بعضا عند ذكر الآثار، فلا ينتفعون منها إلا قليل من الأحرار، وإنما أقول لكم ما علّمتُ من ربي لعل الله يهديكم إلى الأسرار. وإني أُخبرتُ أنهم من الصالحين، ومن آذاهم فقد آذى الله وكان من المعتدين، ومن سبهم بلسان سليط وغيظ مستشيط، وما انتهى عن اللعن والظعن وما ازدجر من الفحش والهديان، بل عزا إليهم أنواع الظلم والغضب والعدوان، فما ظلم إلا نفسه، وما عادى إلا ربّه، وإن الصحابة من المرثئين. فلا تجترئوا على تلك المسالك، فإنها من أعظم المهالك، وليعتذر كل لعان من فرطاته، وليتق الله ويوم مؤاخذاته، وليتق ساعة تهيّج أسف المخطئين، وتُثري ناصية العادين.

وأتم الله إنه تعالى قد جعل الشيخين والثالث الذي هو ذو الثورين، كأبواب للإسلام وطلائع فوج خير الأنام، فمن أنكر شأنهم وحقّر برهانهم، وما تأدّب معهم بل أهانهم، وتصدى للسب وتطاوّل اللسان، فأخاف عليه من سوء الخاتمة وسلب الإيمان. والذين آذوهم ولعنوهم ورموهم بالبهتان، فكان آخر أمرهم قساوة القلب وغضب الرحمن. وإني جربتُ مرارا وأظهرتها إظهاراً، أن

بغض هؤلاء السادات من أكبر القواطع عن الله مظهر البركات، ومن عاداهم فتغلق عليه سدُّ الرحمة والحنان، ولا تُفتح له أبواب العلم والعرفان، ويتركه الله في جذبات الدنيا وشهواتها، ويسقط في وهاد النفس وهواتها، ويجعله من المبعدين المحجوبين.

وإنهم أوذوا كما أُوذي النبيون، ولُعِنوا كما لُعِنَ المرسلون، فحقَّقَ بذلك ميراثهم للمرسل، وتحقَّقَ جزاؤهم كأئمة النحل والملل في يوم الدين. فإن مؤمنا إذا لُعِنَ وكُفِرَ من غير ذنب، ودُعي بهجو وسبٍّ من غير سبب، فقد شابهَ الأنبياءَ وضاهى الأصفياء، فسُيجزى كما يُجزى النبيون، ويرى الجزاء كالمرسلين. ولا شك أن هؤلاء كانوا على قدم عظيم في اتباع خير الأنبياء، وكانوا أُمَّةً وسطاً كما مدحهم ذو العزِّ والعلاء، وأيدهم بروح منه كما أيد كل أهل الاصطفاء. وقد ظهرت أنوار صدقهم وآثار طهارتهم كأجلى الضياء، وتبين أنهم كانوا من الصادقين. ورضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعطاهم ما لم يُعطَ أحد من العالمين.

أهم كانوا منافقين؟ حاشا وكلا، بل جلَّ معروفهم وجلَّى، وإنهم كانوا طاهرين. لا عيب كتطلُّب مثالبهم وعثراتهم، ولا ذنب كنتيش معائبهم وسيئاتهم، والله إنهم كانوا من المغفورين. والقرآن يمدحهم ويُثني عليهم ويشرهم بجنات تجري من تحتها الأنهار، ويقول إنهم أصحاب اليمين والسابقون والأخيار والأبرار، ويسلم بسلام البركات عليهم، ويشهد أنهم كانوا من المقبولين. ولا شك

أهم قوم أَدْحَضُوا المودَّات للإسلام، وعادُوا القوم لمحبة خير الأنام، واقتحموا الأخطار لمرضاة الرب العلام، والقرآن يشهد أنهم آثروا مولاهم وأكرموا كتابه إكرامًا، وكانوا يبيتون لرَبِّهم سُجَّدًا وقيامًا، فأبي ثبوت قطعي على ما خالفه القرآن؟ والظن لا يُساوي اليقين أيها الظان. أتقوم على جهة يبطله الفرقان؟ فأخْرِجْ لنا إن جاءك البرهان ولا تتبع ظنون الظانين.

ووالله إنهم رجال قاموا في مواطن الممات لنصرة خير الكائنات، وتركوا لله آباءهم وأبناءهم ومزقوهم بالمرهفات، وحاربوا الأحباء فقطعوا الرؤوس، وأعطوا لله النفائس والنفوس، وكانوا مع ذلك باكين لقلّة الأعمال ومتندمين. وما تمضمضت مُقلتهم بنوم الراحة، إلا قليل من حقوق النفس للاستراحة، وما كانوا متنعمين. فكيف تظنون أنهم كانوا يظلمون ويغصبون، ولا يعدلون ويجورون؟ وقد ثبت أنهم خرجوا من الأهواء، وسقطوا في حضرة الكبرياء، وكانوا قومًا فانيين.

فكيف تسبّون أيها الأعداء؟ وما هذا الارتياء الذي ياباه الحياء؟ فاتقوا الله وارجعوا إلى رفق وحلم، ستسألون عما تظنون بغير علم وبرهان مبين. لا تنظروا إلى ذلاقتي ومرارة مذاقتي، وانظروا إلى دليل عرضتُ عليكم وأمعنوا فيه بعينيكُم، فإنكم تبعتم ظنون الظانين، وتركتُم كتابا يهب الحق واليقين، وما بعد الحق إلا ضلال مبين.

وكيف يُنسب إلى الصحابة ما يُخالف التقوى وسُبله، ويُبين الورع وحُلله، مع أن القرآن شهد بأن الله حبَّب إليهم الإيمان،

وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وما كفرَ أحدا منهم مع وقوع المقاتلة، فضلا عن المشاجرة، بل سُمي كلُّ أحد من الفريقين مسلمين، وقال:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ *

فانظر إلى ما قال الله وهو أصدق الصادقين. إنك تُكفر المؤمنين لبعض مشاجرات، وهو يسمي الفريقين مؤمنين مع مقاتلات ومحاربات، ويُسميهم إخوة مع بغى البعض على البعض ولا يُسمي فريقا منهم كافرين، بل يغضب على الذين يتنازرون بالألقاب،

ويلمزون أنفسهم ولا يسترون كالأحباب، ويسخرون ويغتابون ويظنون ظن السوء ويمشون متحسسين. بل يُسَمَّى مرتكب هذه الأمور فسوقاً بعد الإيمان، ويغضب عليه كغضبه على أهل العدوان، ولا يرضى بعباده أن يسبوا المؤمنين المسلمين، هذا مع أنه يُسَمَّى في هذه الآيات فريقاً من المؤمنين باغين ظالمين، وفريقاً من الآخرين مظلومين، ولكن لا يسمى أحداً منهما مرتدين. وكفاك هذه الهداية إن كنتَ من المتقين، فلا تُدخِل نفسك تحت هذه الآيات، ولا تبادر إلى المهلكات، ولا تقعد مع المعتدين.

وقال الله في مقام آخر في مدح المؤمنين: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾. * فانظر كلمات رب العالمين. اُتْسَمِي قوما فاسقين سماهم الله متقين؟ ثم قال ﷺ في مدح صحابة خاتم النبيين: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾. ° فانظر كيف سَمَّى كل من عاداهم كافراً، وغضب عليهم، فاحش الله واتب الذي يغيب بالصحابة كافرين، وتدبر في هذه الآيات وآيات أخرى لعل الله يجعلك من المهتدين.

* الفتح: ٢٧ ° الفتح: ٣٠

ومن تظنى من الشيعة أن الصديق أو الفاروق غصبَ الحقوق، وظلم المرتضى أو الزهراء، فترك الإنصاف وأحبَّ الاعتساف، وسلَّك مسلكَ الظالمين. إن الذين تركوا أوطانهم وخلائمهم وأموالهم وأثقالهم لله ورسوله، وأوذوا من الكفار وأخرجوا من أيدي الأشرار، فصبروا كالأخيار والأبرار، واستخلفوا فما أترعوا بيوتهم من الفضة والعين، وما جعلوا أبناءهم وبناتهم ورثاءَ الذهب واللُّجَيْن، بل ردوا كل ما حصل إلى بيت المال، وما جعلوا أبناءهم خلفاءهم كأبناء الدنيا وأهل الضلال، وعاشوا في هذه الدنيا في لباس الفقر والخصاصة، وما مالوا إلى التنعم كذوي الإمرة والرياسة..

أَيُّظَنَّ فيهم أنهم كانوا ينهبون أموال الناس بالتطاولات ويميلون إلى الغصب والنهب والغارات؟ أكان هذا أثر صحبة رسول الله خير الكائنات، وقد حمدهم الله وأثنى عليهم رب المخلوقات؟ كلا.. بل إنه زكَّى نفوسهم وطهَّر قلوبهم، ونورَ شمسهم، وجعلهم سابقين للطيبين الآتين. ولا نجد احتمالا ضعيفا ولا وهما طفيفا يُخبر عن فساد نياتهم، أو يشير إلى أدنى سيئاتهم، فضلا عن جزم النفس على نسبة الظلم إلى ذواتهم، ووالله إنَّهم كانوا قوماً مقسطين. ولو أنهم أعطوا واديا من مال من غير حلال فما تَفَلَّوا عليه وما مالوا كأهل الهوى، ولو كان ذهباً كأمثال الرُّبِّي، أو كمقدار الأرضين. ولو وجدوا حلالاً من المال لأنفقوه في سبيل ذي الجلال ومهمات الدين. فكيف نظنَّ أنهم أغضبوا الزهراء لأشجار، وآذوا فلذة النبي كأشجار،

بل للأحرار نيات، ولهم على الحق ثبات، وعليهم من الله صلوات، والله يعلم ضمائر المتقين.

وإن كان هذا من نوع الإيذاء فما نجا أسد الله الفتى من هذا، بل هو أحد من الشركاء، فإنه اختطب بنت أبا الجهل وآذى الزهراء. فإياك والاعتداء، وخُذِ الالتقاء ودَعِ الاعتداء ولا تتناول فضالة الذين زاغوا عن المحجة، وأعرضوا عن الحق بعد رؤية أنوار المحجة، وكانوا على الباطل مصرّين. وإني أدلك إلى صراط تنجيك من شبهات، فتدبّر ولا تركزن إلى جهالات. وأقول لله وأرجو أن تنيب، ولو أسمع من بعضكم التريب، ولا يهتدي عبد إلا إذا أراد الله هداه، ولا يرتوي أحدٌ إلا من سُقياه. إنه يرى قلبي وقلوبكم، وينظر قدمي وأسلوبكم، ويعلم ما في صدور العالمين.

فاعلم أيها العزيز أن حزباً من علماء الشيعة ربما يقولون إن خلافة الأصحاب الثلاثة ما ثبت* من الكتاب والسنة، وأما خلافة سيدنا المرتضى وأسد الله الأتقى فثبت• من وجوه شتى وبرهان أجلى، فلزم من ذلك أن يكون الخلفاء الثلاثة غاصبين ظالمين آلتين، فإن خلافتهم ما ثبتت من خاتم النبيين وخير المرسلين.

أما الجواب فلا يخفى على المتدبرين الفارحين وعباد الله المتقين، أن ادعاء ثبوت خلافة سيدنا المرتضى صلفٌ بحتٌ ما لحقه من

* سهو الناسخ، والصحيح: "ثبتت". (الناشر)

• سهو الناسخ، والصحيح: "فثبتت". (الناشر)

الصدق سنا وزورة طيف، وليس معه شهادة من كتاب ربنا الأعلى، وليس في أيدي الشيعة شمةً على ثبوت هذا الدعوى، فلا شك أن خلافته عاري الجلدة من حبل الثبوت، وبادي الجردة كالسبوت، ولو كان عليٌّ بجر الأنوار ومستغنيا عن النعوت. فلا تُجادل من غير حق، ولا تستنفر بفويطتك في الرياغة، ولا تُرنا تُرّهات البلاغة، ولا تقفُ طرق المتعسفين.

وإني والله لطلما فكرت في القرآن وأمعتُ في آيات الفرقان، وتلقيتُ أمر الخلافة بوسائل التحقيق، وأعددت له الأهباب كلها للتدقيق، وصرفتُ ملامح عيني إلى كل الأنحاء، ورميتُ مرامي لحظي إلى جميع الأرجاء، فما وجدتُ سيفاً قاطعاً في هذا المصاف كآية الاستخلاف، واستبتتُ أنها من أعظم الآيات، والدلائل الناطقة لإثبات، والنصوص الصريحة من رب الكائنات، لكل من يريد أن يحكم بالحق كالقضاة، وأتيقن أنه من طاب خيمه، وأشرب ماء الإمعان أدبمه، يقبلها شاكرًا، ويحمد الله ذاكرًا، على ما هداه وأخرجه من الضالين.

وإن آيات الفرقان يقينية وأحكامها قطعية، وأما الأخبار والآثار فظنية وأحكامها شكية، ولو كانت مروية من الثقات ونحارير الرواة. ولا تنظروا إلى نضرة حليتها وخضرة دوحتها، فإن أكثرها ساقطة في الظلمات، وليست بمعصومة من مس أيدي ذوي الظلمات، وقد عسر اشتيارها من مشار النحل، وإنما أخذت من النهل. هذا حال أكثر الأحاديث كما لا يخفى على الطيب

والخبث، فبأي حديث بعد كتاب الله تؤمنون؟ وإذا حصحص الحق فأين تذهبون؟ وماذا بعد الحق إلا الضلال، فاتقوا الضلال يا معشر المسلمين.

وقد قلتُ من قبل أن الآثار ما كفلت التزام اليقينيّات، بل هي ذخيرة الظنّيات والشكّيات، والوهميات والموضوعات، فمن ترك القرآن واتكأ عليها فيسقط في هوة المهلكات ويلحق بالهالكين. إنّما الأحاديث كشيخ بالي الرياش بادي الارتعاش، ولا يقوم إلا بهراوة الفرقان وعصا القرآن، فكيف يُرجى منها اكتناز الحقائق وخرنُ نشبِ الدقائق من دون هذا الإمام الفائق؟ فهذا هو الذي يؤوي الغريب ويُطهر المعيب، ويفتح النطق بالدلائل الصحيحة والنصوص الصريحة، وكله يقين وفيه للقلوب تسكين. وهو أقوى تقريراً وقولاً، وأوسع حفاوة وطولاً، ومَن تركه ومال إلى غيره كالعاشق، فتجاوز الدين والديانة ومرق مروق السهم الراشق، ومن غادر القرآن وأسقطه من العين، وتبع روايات لا دليل على تنزُّهها من الميّن، فقد ضلّ ضلالاً مبيناً، وسيصطلي لظى حسرتين، ويريه الله أنه كان على خطأ مبين. فالحاصل أن الأمن في اتباع القرآن، والتباب كل التباب في ترك الفرقان. ولا مصيبة كمصيبة الإعراض عن كتاب الله عند ذوي العيّنين، فاذكروا عظمة هذا الرزء وإنّ جلّ لديكم رزء الحسين، وكونوا طلاب الحق يا معشر الغافلين.

والآن نذكر الآيات الكريمة والحجج العظيمة على خلافة الصديق لنريك ثبوته على وجه التحقيق، فإن طريق الارتباب قطعة من

العذاب، ومن تبع الشبهات فأوقع نفسه في المهلكات، وأما قطع الخصومات فلا يكون إلا باليقينيات، فاسمع مني ولا تبعد عني، وأدعو الله أن يجعلك من المتبصرين.

قال الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾* . هذا ما بشر ربنا للمؤمنين، وأخبر عن علامات المستخلفين، فمن أتى الله للاستمache، وما سلك مسلك الوقاحة، وما شد جوائر التلبس على ساعد الصراحة، فلا بد له من أن يقبل هذا الدليل، ويترك المعاذير والأقاويل، ويأخذ طرق الصالحين.

وأما تفصيله ليبدو عليك دليله فاعلموا يا أولي الأبواب والفضل للباب، أن الله قد وعد في هذه الآيات للمسلمين والمسلمات أنه سيستخلفن بعض المؤمنين منهم فضلاً ورحمًا، ويبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا، فهذا أمر لا نجد مصداقه على وجه أتم وأكمل إلا خلافة الصديق، فإن وقت خلافته كان وقت الخوف والمصائب كما

لا يخفى على أهل التحقيق. فإن رسول الله ﷺ لما تُوفي نزلت المصائب على الإسلام والمسلمين، وارتد كثير من المنافقين، وتطاوت ألسنة المرتدين، وادعى النبوة نفرٌ من المفتريين، واجتمع عليهم كثير من أهل البادية، حتى لحق بمسيلمة قريبٌ من مائة ألف من الجهلة الفجرة، وهاجت الفتن وكثرت الحن، وأحاطت بالبلايا قريبا وبعيدا، وزُلزل المؤمنون زلزالا شديدا. هنالك ابتليت كل نفس من الناس، وظهرت حالات مُخوفة مدهشة الحواس، وكان المؤمنون مضطربين كأن جَمْرًا أُضرمت في قلوبهم أو ذُبجوا بالسكّين. وكانوا سيكون تارة من فراق خير البرية، وأخرى من فتن ظهرت كالنيران المحرقة، ولم يكن أثرًا من أمن، وغلبت المفتتون كخضراءِ دِمنٍ، فزاد المؤمنون خوفًا وفرعًا، وملئت القلوب دهشا وجزعا. ففي ذلك الأوان جُعِل أبو بكر ﷺ حاكم الزمان وخليفة خاتم النبيين. فغلب عليه همٌّ وغمٌّ من أطوار رآها، ومن آثار شاهدتها في المنافقين والكافرين والمرتدين، وكان يبكي كمرابيع الربيع، وتجري عبراته كالينابيع، ويسأل الله خير الإسلام والمسلمين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما جُعِل أبي خليفة وفوض الله إليه الإمارة، فرأى بمجرد الاستخلاف تموجَ الفتن من كل الأطراف، ومورَ المتبئين الكاذبين، وبغاوة المرتدين المنافقين. فصبت عليه مصائب لو صببت على الجبال لانهدت وسقطت وانكسرت في الحال، ولكنه أعطي صبيرا كالمرسلين، حتى جاء نصر الله وقتل المتبئون وأهلك المرتدون، وأزيل الفتن ودفع الحن، وقضى الأمر

واستقام أمر الخِلافة، ونجى الله المؤمنين من الآفة، وبدل من بعد خوفهم أماناً، ومكن لهم دينهم وأقام على الحق زمناً وسود وجوه المفسدين، وأنجز وعده ونصر عبده الصديق، وأباد الطواغيت والغرائق، وألقى الرعب في قلوب الكفار، فانهزموا ورجعوا وتابوا وكان هذا وعد من الله القهار، وهو أصدق الصادقين.

فانظر كيف تم وعد الخِلافة مع جميع لوازمه وإماراته في الصديق، وادعُ الله أن يشرح صدرك لهذا التحقيق، وتدبر كيف كانت حالة المسلمين في وقت استخلافه وقد كان الإسلام من المصائب كالحريق، ثم ردَّ الله الكفرة على الإسلام وأخرجه من البير العميق، وقُتل المتنبئون بأشدَّ الآلام، وأهلك المرتدون كالأنعام، وآمن الله المؤمنين من خوفٍ كانوا فيه كالميتين. وكان المؤمنون يستبشرون بعد رفع هذا العذاب، ويهتئون الصديق ويتلقونه بالترحاب، ويحمدونه ويدعون له من حضرة رب الأرباب، وبادروا إلى تعظيمه وآداب تكريمه، وأدخلوا حبه في تامورهم، واقتدوا به في جميع أمورهم، وكانوا له شاكرين. وصقلوا خواطرهم، وسقوا نواضرهم، وزادوا حباً، وودّوا وطاعوه جهداً وجدّاً، وكانوا يحسبونه مباركاً ومؤيداً كالتبيين. وكان هذا كله من صدق الصديق واليقين العميق.

ووالله إنه كان آدم الثاني للإسلام، والمظهر الأول لأنوار خير الأنام، وما كان نبياً ولكن كانت فيه قُوى المرسلين؛ فبصدقه عادت حديقة الإسلام إلى زخرفه التام، وأخذ زينته وقُرتَه بعد صدمات السهام، وتنوعت أزاهيره وطُهرت أغصانه من القَتام، وكان قبل

ذلك كميته نُدب، وشريد جُدب، وجريح نُوبَ وذبيح جُوب، وأليم أنواع تعب، وحريق هاجرة ذات لهب، ثم نبَّاه الله من جميع تلك البليّات، واستخلصه من سائر الآفات، وأيده بعجائب التأييدات حتى أمّ الملوك ومَلِك الرقاب، بعدما تكسّر وافترش التراب، فزُمت ألسنة المنافقين وتهلّل وجه المؤمنين. وكل نفس حمدت ربه وشكرت الصديق، وجاءته مطاوعاً إلا الزنديق، والذي كان من الفاسقين. وكان كل ذلك أجر عبدٍ تحيّرهُ الله وصافاه ورضي عنه وعافاه، والله لا يضيع أجر المحسنين.

فالحاصل أن هذه الآيات كلّها مُخبرة عن خلافة الصديق، وليس لها محملٌ آخر فانظر على وجه التحقيق، واخش الله ولا تكن من المتعصبين.

ثم انظر أن هذه الآيات كانت من الأنبياء المستقبلية لتزيد إيمان المؤمنين عند ظهورها، وليعرفوا مواعيد حضرة العزة، فإن الله أخبر فيها عن زمان حلول الفتن ونزول المصائب على الإسلام بعد وفاة خير الأنام، ووعد أنه سيستخلف في ذلك الزمن بعضاً من المؤمنين ويؤمنهم من بعد خوفهم، ويمكن دينه المتزلزل ويهلك المفسدين. ولا شك أن مصداق هذا النبأ ليس إلا أبو بكر وزمانه، فلا تنكر وقد حصح بُرهانه. إنه وجد الإسلام كجدار يريد أن ينقض من شر أشرار، فجعله الله بيده كحصن مشيد له جدران من حديد، وفيه فوج مطيعون كعبيد. فانظر هل تجد من ريب في هذا، أو يسوغ عندك إتيان نظيره من زمر آخرين؟

وإني أعلم أن بعض الشيعة يخاصم أهل السنة في هذا المقام، وقد تمادت أيام الخصام، وربما انتهى الأمر من مخاصمة إلى ملاكمة ومقاتلة، وأفضت إلى محاكمة ومرافعة. وأتعجب على الشيعة وسوء فهمهم، وأتأوه لإفراطِ وهمهم، قد تجلّت لهم الآيات وظهرت القطعيات، فيفرون ممتعزين ولا يتفكرون كالمُنصفين. فها أنا أدعوهم إلى أمرٍ يفتح عينهم، وسواء بيننا وبينهم، أن نحاضر في مضمار، ونتضرع في حضرة رب قهار، ونجعل لعنة الله على الكاذبين. فإن لم يظهر أثر دعائي إلى سنة، فأقبل لنفسي كل عقوبة، وأقرّ بأنهم كانوا من الصادقين، ومع ذلك أعطي لهم خمسة آلاف من الدراهم المروجة، وإن لم أعطِ فلعنة الله عليّ إلى يوم الآخرة. وإن شاءوا فأجمع لهم تلك الدراهم في مخزن دولة البريطانة، أو عند أحد من الأعزّة. بيد أني لا أخطب كلّ أحد من العامّة، إلا الذي ينسج رسالة على منوال هذه الرسالة. وما اخترتُ هذا المنهج إلا لأعلم أن المباهل المناضل من أهل الفضيلة والفتنة، لا من الجهلة العُمر الذين ليس لهم حظ وافر من العربية، فإن الذي حل محل الأنعام لا يستحق أن يؤثّر للإنعام، والذي هو كالجمال، لا يليق أن يجلس في مجالس الحسن والجمال، ومن تعرض للمنافثة لا بد له من المشابهة. فمن لم يكن مثلي أنبل الكتاب فليس هو عندي لائقاً للخطاب. ثم لما بلغتُ قنّة هذا المقام المنيع، فضلا من التقدير البديع، أحبُّ أن أرى مثلي في هذه الكرامة، وأكره أن أناضل كل أحد من

العامة، فإنه فيه كسر شأني، وعار لعلو مكاني، فلا أكلمه أبداً، بل أعرض عن الجاهلين.

وعُلمتُ أن الصديقَ أعظم شأنا وأرفع مكانا من جميع الصحابة، وهو الخليفة الأول بغير الاسترابة، وفيه نزلت آيات الخلافة، وإن كنتم زعمتم يا عدا الثقافة أن مصداقها غيره بعد عصره فأتوا بفصّ خبره إن كنتم صادقين. وإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فلا تكونوا أعداء الأختيار، واقطعوا خصاما متطائر الشرار. وما كان لمؤمن أن يركن إلى اشتطاط اللدد، ولا يدخل باب الحق مع انفتاح السدد. وكيف تلعنون رجلا أثبت الله دعواه، وإذا استعدى فأعداه وأرى الآيات لعدّواه●، وطرّ مكر الماكرين، وهو نجى الإسلام من بلاء هاض وجور فاض، وقتل الأفعى النضناض، وأقام الأمن والأمان، وخيب كل من مان، بفضل الله رب العالمين.

وللصديق حسنات أخرى وبركات لا تُعدّ ولا تُحصى، وله مننٌ على أعناق المسلمين، ولا ينكرها إلا الذي هو أول المعتدين. وكما جعله الله موجبا للأمن المؤمنين ومطفءاً لنيران الكافرين والمرتدين، كذلك جعله من أول حُماة الفرقان وخدام القرآن ومُشيعي كتاب الله المبين. فبذل سعيه حق السعي في جمع القرآن واستطلاع تربيته من محبوب الرحمن، وهملت عيناه لمواساة الدين ولا همول عين الماء المعين. وقد بلغت هذه الأخبار إلى حد اليقين، ولكن التعصب تعقّر

● ورد في أقرب الموارد: استعداه: استغائه واستنصره، يقال: استعديت على فلان الأمير فأعداني أي استعنت به عليه فأعانتني عليه. والعدوى بمعنى المعونة. (الناشر)

فطن المتدبرين. وإن كنت تريد أصل الوقعات ولبّ النكات، فاربأ بنفسك أن تنظر بحيث يغشاك درن التعصبات. وإياك وطرق التعسفات، فإن النصفَةَ مفتاح البركات، ولا ترحض عن القلب قشف الظلمة إلا نور العدل والنصفة. وإن العلوم الصادقة والمعارف الصحيحة رفيعة جداً كعرش حضرة الكبرياء، والنصفة لها كسَلْم الارتقاء، فمن كان يرجو حل المشكلات وقُنية النكات، فليعمل عملاً صالحاً ويتقّ التعسّف والتعصبات وطرق الظالمين.

ومن حسنات الصديق ومزاياه الخاصة أنه حُصّ لمرافقة سفر الهجرة، وجعل شريك مضائق خير البرية وأنيسه الخاص في باكورة المصيبة، ليثبت تخصّصه بمحسوب الحضرة. وسرُّ ذلك أن الله كان يعلم بأن الصديق أشجع الصحابة ومن التقاة وأحبهم إلى رسول الله ﷺ ومن الكُماة، وكان فانياً في حُبِّ سيّد الكائنات، وكان اعتاد من القديم أن يمونه ويراعي شؤونه، فأسلى به الله نبيّه في وقت عبوس وعيش بوس، وحُصّ باسم الصديق وقرب نبي الثقلين، وأفاض الله عليه خلعة ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾، وجعله من المخصوصين.

ومع ذلك كان الصديق من المجريين ومن زمر المتبصّرين. رأى كثيراً من مغالقات الأمور وشدائدّها، وشهد المعارك ورأى مكايدها، ووطئ البوادي وجلامدّها، وكم من مهلكة اقتحمها! وكم من سبل العوج قومها! وكم من ملحمة قدمها! وكم من فتن عدمها! وكم من راحلة أنضأها في الأسفار، وطوى المراحل حتى صار من أهل التجربة والاختبار! وكان صابراً على الشدائد ومن المرتاضين.

فأختره الله لرفاقته مورد آياته، وأثنى عليه لصدقه وثباته، وأشار إلى أنه كان لرسول الله ﷺ أول الأحباء، وخُلِقَ من طينة الحرّية وتفوّقَ درّ الوفاء، ولأجل ذلك اختيرَ عند خطب خشى وخوف غشى، والله عليم حكيم يضع الأمور في مواضعها، ويُجري المياه من منابعها، فنظر إلى ابن أبي قحافة نظرةً، ومن عليه خاصة، وجعله من المتفردين، وقال وهو أصدق القائلين: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.*

فتدبّر في هذه الآيات فهما وحزما، ولا تُعرض عمدا وعزما، وأحسنِ النظر فيما قال رب العالمين. ولا تلج مقاحم الأخطار بسبّ الأختيار والأبرار وأحبّاء القهار، فإن أنفَسَ القربات تحيّر طرق التقاة والإعراض عن المهلكات، وأمتن أسباب العافية كفّ اللسان والتجنب من السبّ والغيبة، والاجتناب من أكل لحم الإخوة. انظر إلى هذه الآية الموصوفة، أثني على الصديق أو تجعله مورد اللوم والمعتبة؟ أتعرف رجلا آخر من الصحابة الذي حُمد بهذه الصفات بغير الاسترابة؟ أتعرف رجلا سُمي ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ وسُمي صاحبًا لني الثقلين، وأشرك في فضل ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وجعل أحدًا من

المؤيدين؟ أتعلم أحداً حُمد في القرآن كمثل هذه المحمّدة، وسُفر زحام الشبهات عن حالاته المخفية، وثبت فيه بالنصوص الصريحة لا الظنية الشكّية أنه من المقبولين؟ ووالله، ما أرى مثل هذا الذكر الصريح ثابت بالتحقيق الذي مخصوص بالصدّيق لرجل آخر في صحف رب البيت العتيق. فإن كنت في شك مما قلت، أو تظن أني عن الحق ملت، فأنت بنظير من القرآن، وأرنا لرجل آخر تصرّيحاً من الفرقان، إن كنت من الصادقين.

والله إن الصدّيق رجل أُعطي من الله حلل الاختصاص، وشهد له الله أنه من الخواص، وعزا معية ذاته إليه، وحمّده وشكّره وأثنى عليه، وأشار إلى أنه رجل لم يطب له فراق المصطفى، ورضي بفراق غيره من القربى، وآثر المولى وجاءه يسعى، فساق إلى الموت ذوّد الرغبة، وأزجى كل هوى المهجة. استدعاه الرسول للمرافقة، فقام ملّياً للموافقة، وإذ همّ القوم بإخراج المصطفى، جاءه النبي حبيب الله الأعلى، وقال إني أمرت أن أهاجر وتهاجر معي ونخرج من هذا المأوى، فحمدل الصدّيق على ما جعله الله رفيق المصطفى في مثل ذلك البلوى، وكان ينتظر نصرة النبي المبغى عليه إلى أن آلت هذه الحالة إليه، فرافقه في شجون من جدّ ومجون، وما خاف قتل القاتلين. ففضيلته ثابتة من جليّة الحكم والنص المحكم، وفضله بين دليل قاطع، وصدقه واضح كصبح ساطع. إنه ارتضى بنعماء الآخرة وترك تنعم العاجلة، ولا يبلغ فضائله أحد من الآخرين.

وإن سألت أن الله لِمَ آثرَه لصدر سلسلة الخلافة، وأيّ سر كان فيه من ربّ ذي الرأفة، فاعلم أن الله قد رأى أن الصديق - رضي الله عنه وأرضى - آمنَ مع رسول الله ﷺ بقلب أسلم في قوم لم يسلم، وفي زمان كان نبي الله وحيداً، وكان الفساد شديداً، فرأى الصديق بعد هذا الإيمان أنواع الذلة والهوان ولعن القوم والعشيرة والإخوان والخلان، وأوذى في سبيل الله الرحمن، وأخرج من وطنه كما أخرج نبي الإنس وني الجن، ورأى مِحناً كثيرة من الأعداء، ولعنوا ولوماً من الأحباء، وجاهد بماله ونفسه في حضرة العزّة، وكان يعيش كالأذلة، بعدما كان من الأعزّة ومن المتنعمين. وأخرج في سبيل الله، وأوذى في سبيل الله، وجاهد بأمواله في سبيل الله، فصار بعد الثراء كالفقراء والمساكين. فأراد الله أن يُريه جزاء الأيام التي قد مضت عليه، ويبدّله خيراً مما ضاع من يديه، ويُريه أجر ما رأى ابتغاءً لمرضاة الله، والله لا يُضيع أجر المحسنين. فاستخلفه ربه ورفع له ذكره وأسلى، وأعزّه رحمة منه وفضلاً، وجعله أمير المؤمنين.

اعلموا، رحمكم الله، أن الصحابة كلهم كانوا كجوارح رسول الله ﷺ وفخر نوع الإنسان، فبعضهم كانوا كالعيون وبعضهم كانوا كالآذان، وبعضهم كالأيدي وبعضهم كالأرجل من رسول الرحمن، وكل ما عملوا من عمل أو جاهدوا من جهد فكانت كلها صادرة بهذه المناسبات، وكانوا ييغون بها مرضاة رب الكائنات رب العالمين. فالذي يقول أن الأصحاب الثلاثة كانوا من الكافرين والمنافقين أو الغاصبين فلا يُكفّر إلا كلهم أجمعين؛ لأن الصحابة

كلهم كانوا بايعوا أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم وأرضى، وشهدوا المعارك والمواطن بأحكامهم العظمى، وأشاعوا الإسلام وفتحوا ديار الكافرين. فما أرى أجهل من الذي يزعم أن المسلمين ارتدوا كلهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، كأنه يكذب كل مواعيد نصره الإسلام التي مذكورة في كتاب الله العلام، سبحان ربنا حافظ الملة والدين. هذا قول أكثر الشيعة، وقد تجاوزوا الحد في تطاول الألسنة، وغضّوا من الحق عينهم، فكيف ينتظم الوفاق بيننا وبينهم؟! وكيف يرجع الأمر إلى ودا، وإهم لفي وادٍ ونحن في وادٍ؟! والله يعلم أننا من الصادقين.

يا حسرة عليهم! إهم لا يستفيقون من غشي التعصبات، ولا يكفكفون من البهتانات. أعجبي شأهم وما أدري ما إيمانهم، إهم كفروا الأصحاب الثلاثة وحسبهم من المنافقين المرتدين، مع أن القرآن ما بلغهم إلا من أيدي تلك الكافرين، فلزمهم أن يعتقدوا أن القرآن الموجود في أيدي الناس ليس بشيء، بل ساقط من الأساس، وليس كلام رب الأناس، بل مجموعة كلمات المحرفين. فإهم كلهم كانوا خائنين وغاصبين بزعمهم، وما كان أحد منهم أميناً ومن المتدينين. فإذا كان الأمر كذلك فعلى ما عولوا في دينهم؟ وأي كتاب من الله في أيديهم لتلقينهم؟ فثبت أنهم قوم محرومون لا دين لهم ولا كتاب الدين. فإن قوما إذا فرضوا أن الصحابة كفروا وناققوا وارتدوا على أعقابهم وأشركوا، واتسخوا بوسخ الكفر وما تطهروا، فلا بد لهم أن يُقرّوا بأنّ القرآن ما بقي على صحته وحرّف

وُبدِّلَ عن صورته وزيد ونقص، وغَيَّرَ من سحنته وقَيَّدَ إلى غير حقيقته، فإن هذا الإقرار لزِمهم ضرورةً بعد إصرارهم جرأةً على أن القرآن ما شاع من أيدي المؤمنين الصالحين، وأشاعه قوم من الكافرين الخائنين المرتدين. وإذا اعتقدوا أن القرآن مفقود، وكل من جمعه فهو كافر مردود، فلا شك أنهم يتسوا مما نزل على أبي القاسم خاتم النبيين، وغُلقت عليهم أبواب العلم والمعرفة واليقين، ولزِمهم أن يُنكروا النواميس كلها، فإنهم محرومون من تصديق الأنبياء والإيمان بكتب المرسلين. وإذا فرضنا أننا* هذا هو الحق أن الصحابة ارتدوا كلهم بعد خاتم الأنبياء، وما بقي على الشريعة الغراء إلا علي بن أبي طالب عليه السلام ونفر قليلون معه من الضعفاء، وهم مع إيمانهم ركنوا إلى إخفاء الحقيقة، واختاروا تقيَّةً للدنيا الدنية تحوُّفاً من الأعداء، أو لجذب المنفعة والحطام، فهذا أعظم المصائب على الإسلام، وبلية شديدة على دين خير الأنام. وكيف تظن أن الله أخلف مواعيده، وما أرى تأييده، بل جعل أوَّلَ الدنِّ دُرْدِيًّا، وأفسد الدين من كيد الخائنين.

فنشهد الخلق كلهم أننا بريئون من مثل تلك العقائد، وعندنا هي مقدمات الكفر وإلى الارتداد كالعقائد، ولا تناسب فطرة الصالحين. أكفر الصحابة بعد ما أفنوا أعمارهم في تأييد الإسلام، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لنصرة خير الأنام، حتى جاءهم الشيب وقرب وقت الحمام؟ فمن أين تولدت إرادة متجددة فاسدة بعد توديعها،

* سهو الناسخ، والصحيح: "أن". (الناشر)

وكيف غاضت مياه الإيمان بعد جريان ينابيعها؟ فويل للذين لا يذكرون يوم الحساب، ولا يخافون رب الأرباب، ويسبّون الأخيار مستعجلين.

والعجبُ أن الشيعة يُقرّون بأن أبا بكر الصّدِّيق آمن في أيام كثرة الأعداء، ورافق المصطفى في ساعة شدة الابتلاء، وإذا خرج رسول الله ﷺ فخرج معه بالصدق والوفاء، وحمل التكاليف وترك المألف والأليف، وترك العشيرة كلها واختار الرب اللطيف، ثم حضر كل غزوة وقاتل الكفار وأعان النبي المختار، ثم جعل خليفة في وقت ارتدت جماعة من المنافقين، وادعى النبوة كثير من الكاذبين، فحاربهم وقاتلهم حتى عادت الأرض إلى أمنها وصلاحتها وخاب حزب المفسدين.

ثم مات ودُفن عند قبر سيد النبيين وإمام المعصومين، وما فارق حبيب الله ورسوله لا في الحياة ولا في الممات، بل التقيا بعد بين أيام معدودة فتهادى تحية المحبين. والعجب كلّ العجب أن الله جعل أرض مرقد نبيه بزعمهم مشتركة بين خاتم النبيين والكافرين الغاصبين الخائنين!! وما نجّى نبيّه وحبيبه من أذى جوارهما بل جعلهما له رفيقين مؤذنين في الدنيا والآخرة، وما باعده عن الخبيثين!! سبحان ربنا عما يصفون، بل الحقّ الطيبين بإمام الطيبين. إن في ذلك لآيات للمتبصرين.

فتفكر يا من تحلّى بفهم، ولا تركن من يقين إلى وهم، ولا تجترئ على إمام المعصومين. وأنت تعلم أن قبر نبينا ﷺ روضة

عظيمة من روضات الجنة، وتبوءاً كلَّ ذروة الفضل والعظمة، وأحاط كل مراتب السعادة والعزة، فما له وأهل النيران؟ فتفكر ولا تختبر طرق الخسران، وتادّب مع رسول الله يا ذا العينين، ولا تجعل قبره بين الكافرَيْن الغاصبين، ولا تُضِعْ إيمانك للمرتضى أو الحسين، ولا حاجة لهما إلى إطرائك يا أسير المين، فاغمدْ عَضْبَ لسانك وكن من المتقين. أيرضى قلبك ويسرّ سرِّبك أن تُدفن بين الكفار وكان على يمينك ويسارك **كافران** من الأشرار؟ فكيف تجوز لسيد الأبرار ما لا تجوز لنفسك يا مَورد قهر القهار؟ أتنزل خير الرسل منزلةً لا ترضاها، ولا تنظرُ مراتب عصمته وإياها؟ أين ذهب أدبك وعقلك وفهمك؟ أم اختطفته جنُّ وهمك وتركتك كالمسحورين؟ وكما صُلّت على الصديق الأتقى كذلك صُلّت على عليّ المرتضى، فإنك جعلت عليًّا - نعوذ بالله - كالمنافقين، وقاعدا على باب الكافرين، ليفيض شربه الذي غاض، وينجر من حاله ما انهاض. ولا شك أن هذه السير بعيدة من المخلصين، ولا توجد إلا في الذي رضي بعبادات المنافقين.

وإذا سئل عن الشيعة المتعصبين: مَنْ كان أوّل مَنْ أسلم من الرجال البالغين وخرج من المنكرين المخالفين، فلا بدّ لهم أن يقولوا إنه أبو بكر. ثم إذا سئل: مَنْ كان أوّل من هاجر مع خاتم النبيين ونبذ العلق وانطلق حيث انطلق، فلا بدّ لهم أن يقولوا إنه أبو بكر. ثم إذا سئل: من كان أول المستخلفين ولو كالغاصبين، فلا بدّ لهم أن يقولوا إنه أبو بكر. ثم إذا سئل: من كان جامع القرآن ليشاع في

البلدان، فلا بد لهم أن يقولوا إنه أبو بكر. ثم إذا سئل: من دُفن بجوار خير المرسلين وسيد المعصومين، فلا بد لهم أن يقولوا إنه أبو بكر وعمر. فالعجب كل العجب أن كل فضيلة أُعطيت للكافرين المنافقين، وكل خير الإسلام ظهرت من أيدي المعادين! أيزعم مؤمن أن أول لبنة لإسلام [♦] كان كافراً ومن اللثام؟ ثم أول المهاجرين مع فخر المرسلين كان كافراً ومن المرتدين؟ وكذلك كل فضيلة حصلت للكفار حتى جوار قبر سيد الأبرار، وكان عليٌّ من المحرومين، وما مال إليه الله بالعدوى وما أجدى من جدوى، كأنه ما عرفه وأخطأ من التنكير واحرورف في المسير، وإن هذا إلا كذب مبین.

فالحق أن الصديق والفاروق، كانا من أكابر الصحابة وما ألتنا الحقوق، واتخذنا التقوى شرعة، والعدل نُجعة، وكانا ينقبان عن الأخبار ويفتشان من أصل الأسرار، وما أرادا أن يُلقيا من الدنيا بُغية، وبذلا النفوس لله طاعةً. وإني لم ألقَ كالشيخين في غزارة فيوضهم وتأيد دين نبي الثقلين. كانا أسرعَ من القمر في اتباع شمس الأمم والزمير، وكانا في حبه من الفانين. واستعدبا كل عذاب لتحصيل صواب، ورضوا بكل هوان للنبي الذي ليس له ثان، وظهروا كالأسود عند تلقّي القوافل والجنود من ذوي الكفر والصدود، حتى غلب الإسلام وانهمز الجمع، وانزوى الشرك وانقمع، وأشرقت شمس الملة والدين. وكانت خاتمة أمرهما جوار خير المسلمين، مع خدمات

♦ يبدو أنه سهو، والصحيح: "الإسلام". (الناشر)

مرضية في الدين، وإحسانات ومن على أعناق المسلمين. وهذا فضل من الله الذي لا تخفى عليه الأتقياء، وإن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء، من اعتلق بذيله مع كمال ميله، فإن الله لن يُضيعه ولو عاداه كل ما في العالمين، ولا يرى طالبه خسراً ولا عسراً ولا يذُر الله الصادقين.

الله أكبر! ما أعظم شأن سرهما وصدقهما! دُفِنوا في مدفن لو كان موسى وعيسى حيَّين لتمناها غبطة، ولكن لا يحصل هذا المقام بالمنية، ولا يعطى بالبغية، بل هي رحمة أزلية من حضرة العزة، ولا تتوجه إلا إلى الذين توجَّهت العناية إليهم من الأزل، وحفَّت بهم ملاحف الفضل. فقضيت العجب كل العجب أن الذين يُفضَّلون عليًّا على الصديق لا يرجعون إلى هذا التحقيق، ويتهافتون على ثناء المرتضى ولا ينظرون مقام الصديق الأتقى. فاسأل الذين يكفِّرون الصديق ويلعنون، وسيعلم الذين ظلموا بأي منقلب ينقلبون.

إن الصديق والفاروق كانا أميراً ركب علواً لله قنناً على ودعوا إلى الحق أهل الحضارة والفلا، حتى سرت دعوتهم إلى بلاد قصوى، وقد أودعت خلافتهم لفائف ثمرات الإسلام، وضُمَّخت بالطيب العميم بأنواع فوز المرام. وكان الإسلام في زمن الصديق متألماً بأنواع الحريق، وشارف أن تُشنَّ على سِرِّه فوج الغارات، وتنادى عند نهبه يا للثارات، فأدركه الرب الجليل بصدق الصديق، وأخرج بَعاعه من البئر العميق، فرجع إلى حالة الصلاح من محلَّة نازحة، وحالة رازحة، فأوجب لنا الإنصاف أن نشكر هذا المعين ولا نُبالي

المعادين. فإياك أن تلوي عذارك عن نصر سيدك ومختارك، وحفظ دينك ودارك، وقصد لله فلاحك وما امتار سماحك. فيا للعجب الأظهر! كيف يُنكرُ مجدُّ الصديق الأكبر، وقد برقت شمائله كالنير؟ ولا شك أن كل مؤمن يأكل أُكُلَ غَرْسِهِ، ويستفيض من علوم درسه. أعطى لديننا الفرقان، ولدنيانا الأمن والأمان، ومن أنكره فقد مان ولقي الشيط والشيطان. والذين التبس عليهم مقامه فما أخطأوا إلا عمدًا، وحسبوا الغدق ثمدًا، فتوغروا غضبًا، وحقروا رجلاً كان أوَّلَ المكرمين.

وإن نفس الصديق كانت جامعة للرجاء والخوف، والحشية والشوق، والأنس والمحبة. وكان جوهر فطرته أبلغ وأكمل في الصفاء، منقطعًا إلى حضرة الكبرياء، مفارقًا من النفس ولذاتها، بعيدًا عن الأهواء وجذباتها، وكان من المتبتلين. وما صدر منه إلا الإصلاح، وما ظهر منه للمؤمنين إلا الفلاح. وكان مبرًّا من همة الإيذاء والضير، فلا تنظر إلى التنازعات الداخلية، واحملها على محامل الخير. ألا تُفكر أن الرجل الذي ما التفت من أوامر ربه ومرضاته إلى بنيه وبناته، ليجعلهم متمولين أو من أحد وُلَّاتِهِ، وما كان له من الدنيا إلا ما كان ميرةً ضروراته، فكيف تظن أنه ظلم آل رسول الله مع أن الله فضَّله على كلِّهم بحسن نيته، وجعله من المؤيدين. وليس كل نزاع مبنياً على فساد النيات كما زعم بعض متبعي الجهلات، بل رُبَّ نزاع يحدث من اختلاف الاجتهادات. فالطريق الأنسب والمنهج الأصوب أن نقول إن مبدأ التنازعات في بعض صحابة خير

الكائنات كانت الاجتهادات لا الظلمات والسيئات. والمجتهدون معفوون ولو كانوا مخطئين. وقد يحدث الغلّ والحقد من التنازعات في الصلحاء، بل في أكابر الأتقياء والأصفياء، وفي ذلك مصالح لله ربّ العالمين. فكلّ ما جرى فيهم أو خرج من فيهم، فيجب أن يُطوى لا أن يُروى، ويجب أن يُفوّض أمورهم إلى الله الذي هو ولي الصالحين. وقد جرت سنته أنه يقضي بين الصالحين على طريق لا يقضي عليه قضايا الفاسقين، فإنهم كلّهم أحباؤه وكلهم من المحبين المقبولين، ولأجل ذلك أخبرنا ربنا عن مآل نزاعهم وقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.*

هذا هو الأصل الصحيح، والحق الصريح، ولكن العامة لا يُحققون في أمر كأولي الأبصار، بل يقبلون القصص بغضّ الأبصار، ثم يزيد أحدٌ منهم شيئاً على الأصل المنقول، ويتلقاه الآخر بالقبول، ويزيد عليه شيئاً آخر من عند نفسه، ثم يسمعه ثالث بشدة حرصه، فيؤمن به ويلحق به حواشي أُخرى، وهلمّ جراً، حتى تستتر الحقيقة الأولى، وتظهر حقيقة جديدة تخالف الحق الأجلّي، وكذلك هلك الناس من خيانات الراوين.

وكم من حقيقة تسترت، وواقعات اختفت وقصص بُدلت، وأخبار غُيّرت وحُرِّفت، وكم من مفتريات نُسجت، وأمور زيدت

ونقصت، ولا تعلم نفس ما كانت واقعة أولاً ثم ما صيرت وجعلت. ولو أحيي الأولون من الصحابة وأهل البيت وأقارب خير البرية، وعرضت عليهم هذه القصص، لتعجبوا وحولقوا واسترجعوا من مفتريات الناس، ومما طولوا الأمر من الوسواس الخناس، وجعلوا قطرة كبحر عظيم، وأروا كجبال ذرة عظم رميم، وجاءوا بكذب يخدع الغافلين.

والحق أن الفتن قد تموجت في أزمنة وسطى، وماجت كتموج الرياح العاصفة والصراصر العظمى. وكم من أراجيف المفترين قبلت كأخبار الصادقين، فتفطن ولا تكن من المستعجلين. ولو أعطيت مما أفاض الله علينا لقبلت ما قلت لك وما كنت من المعرضين. والآن لا أعلم أنك تقبله أو تكون من المنكرين. والذين كانت عداوة الشيخين جوهر روحهم، وجزء طبيعتهم، وديدن قريحتهم، لا يقبلون قولنا أبدا حتى يأتي أمر الله، ولا يصدقون كشوفا ولو كانت ألوفا، فليتربصوا زمانا يُيدي ما في صدور العالمين.

أيها الناس.. لا تظنوا ظن السوء في الصحابة، ولا تُهلكوا أنفسكم في بوادي الاسترابة، تلك أمة قد خلت ولا تعلمون حقيقة بُعدت واحتفت، ولا تعلمون ما جرى بينهم، وكيف زاغوا بعدما نور الله عينهم، فلا تتبعوا ما ليس لكم به علم واتقوا الله إن كنتم خاشعين. وإن الصحابة وأهل البيت كانوا روحانيين منقطعين إلى الله ومتبتلين، فلا أقبل أبداً أنهم تنازعوا للدنيا الدنيّة، وأسر بعضهم

غِلَّ البعض في الطويّة، حتى رجع الأمر إلى تقائل بينهم وفساد ذات البين وعناد مبين. ولو فرضنا أن الصديق الأكبر كان من الذين آثروا الدنيا وزخرفها، ورضوا بها وكان من الغاصبين، فنضطر حينئذ إلى أن نقرّ أنّ عليّاً أسد الله أيضاً كان من المنافقين، وما كان كما نخاله من المتبتلين؛ بل كان يكبّ على الدنيا ويطلب زينتها، وكان في زخارفها من الراغبين. ولأجل ذلك ما فارق الكافرين المرتدين، بل دخل فيهم كالمدهنين، واختار التقيّة إلى مدة قريبة من ثلاثين. ثم لما كان الصديق الأكبر كافراً أو غاصباً في أعين عليّ المرتضى رضي الله تعالى عنه وأرضى، فلم رضي بأن يُبايعه؟ ولم ما هاجر من أرض الظلم والفتنة والارتداد إلى بلاد أخرى؟ ألم تكن أرض الله واسعة فيهاجر فيها كما هي سنة ذوي التقى؟ انظر إلى إبراهيم الذي وفّى.. كيف كان في شهادة الحق شديد القوى، فلما رأى أن أباه ضلّ وغوى، ورأى القوم أنهم يعبدون الأصنام ويتركون الرب الأعلى، أعرض عنهم وما خاف وما بالى، وأدخل في النار وأوذى من الأشرار، فما اختار التقيّة خوفاً من الأشرار. فهذا هي سيرة الأبرار، لا يخافون السيوف ولا السنان، ويحسبون التقيّة من كبائر الإثم والفواحش والعدوان، وإن صدرت شمةً منها كمثل ذلّة فيرجعون إلى الله مستغفرين.

ونعجب من عليّ عليه السلام كيف بايع الصديقَ والفاروق، مع علمه بأنهما قد كفرا وأضاعا الحقوق، ولبت فيهما عمراً واتبعهما إخلاصاً

وعقيدة، وما لغب وما وهن وما أرى كراهة، وما اضمحلت الداعية، وما منعتة التقاة الإيمانية، مع أنه كان مطلعاً على فسادهم وكفرهم وارتدادهم، وما كان بينه وبين أقوام العرب باباً مسدوداً وحجاباً ممدوداً وما كان من المسجونين. وكان واجبا عليه أن يُهاجر إلى بعض أطراف العرب والشرق والغرب ويحث الناس على القتال ويهيج الأعراب للنضال، ويُسخرهم بفصاحة المقال ثم يقاتل قوما مرتدين.

وقد اجتمع على المسيلمة* الكذاب زهاء مائة ألف من الأعراب، وكان عليٌّ أحقَّ بهذه النصره، وأولى لهذه المهمة، فلم أتبع الكافرين، ووالى وقعد كالكسالى وما قام كالمجاهدين؟ فأبيّ أمر منعه من هذا الخروج مع إمارات الإقبال والعروج؟ ولم ما نهض للحرب والبأس وتأييد الحق ودعوة الناس؟ ألم يكن أفصح القوم وأبلغهم في العظات ومن الذين ينفخون الروح في الملفوظات؟ فما كان جمع الناس عنده إلا فعل ساعة، بل أقلَّ منها لقوة بلاغة وبراعة، وتأثير جاذب للسامعين. ولما جمعَ الناسَ الكاذبُ الدجالُ فكيف أسدَّ الله الذي كان مؤيِّده الربُّ الفعَّال، وكان محبوبَ رب العالمين.

ثم من أعجب العجائب وأظهر الغرائب أنه ما اكتفى عليٌّ أن يكون من المبايعين، بل صلَّى خلف الشيخين كل صلاة، وما تخلف في وقت من أوقات، وما أعرض كالشاكين. ودخل في شوراها

* سهو، والصحيح: "مسيلمة". (الناشر)

وصدق دعواهم، وأعانهم في كل أمر يجهد همته وسعة طاقته، وما كان من المتخلفين. فانظر.. أهذا من علامات الملهوفين المكفرين؟ وانظر كيف اتبع الكاذبين مع علمه بالكذب والافتراء كأن الصدق والكذب كان عنده كالسواء. ألم يعلم أن الذين يتوكلون على قدير ذي القدرة لا يؤثرون طريق المداهنة طرفة عين ولو بالكرهية، ولا يتركون الصدق ولو أحرقهم الصدق وألقاهم إلى التهلكة وجعلهم عِضِينَ؟

وإن الصدق مشرب الأولياء، ومن علامات الأصفياء، ولكن المرتضى ترك هذه السجّية، ونَحَتْ لنفسه التقيّة، واتبع طريقا ذليلا، وكان يحضر فناء الكافرين بكرة وأصيلا، وكان من المادحين. وهلا اقتدى بنبيّ الثقليين أو شجاعة الحسين واتخذ طريق المحتالين؟ وأنشدك الله! أهذا من صفات الذين تطهّرت قلوبهم من رجس الجبن والمداهنة، وأعطاهم إيمانهم قوة الجنان والمهجة وزكّوا من كل نفاق ومداهنة، وخافوا ربهم وفرغوا بعده من كل خشية؟ كلا.. بل هذه الصفات توجد في قوم آثروا الأهواء على حضرة العزة، وقدموا الدنيا على الآخرة، وما قدروا الله حق قدره، وما استناروا من بادره، وما كانوا مخلصين. وإني عاشرت الخواص والعوام، ورأيت كل طبقة من الأنام، ولكني ما رأيت سيرة التقية وإخفاء الحق والحقيقة إلا في الذين لا يُيالون علاقة حضرة العزة. ووالله، لا ترضى نفسي لطفرة عين أن أداهن في الدين ولو قُطعتُ بالسكين، وكذلك كل من هداه الله فضلا ورحما، ورزق من الإخلاص رزقا حسنا، فلا

يرضى بالنفاق وسير المنافقين. أما قرأت قصة قوم اختاروا الموت على حياة المداينة وما شاءوا أن يعيشوا طرفة عين بالثقية وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾؟^٥ فيا حسرة على الشيعة! إنهم اجترؤوا على ذم المرتضى بما كان عندهم من منافرة للصديق الأتقى، وهفت أحلامهم بتعصب أعمى. يتعامون مع المصباح المتقد، ولا يتأملون تأمل المنتقد. وإني أرى كلماتهم مجموعة ريب، وملفوظاتهم رجم غيب، وما مسهم ريح المحققين.

أيها الناظر في هذا الكتاب.. إن كنت من عشاق الحق والصواب، فكفاك آية الاستخلاف لتحصيل ترياق الحق ودفع الذعاف، فإن فيها برهانا قويا للمنصفين. فلا تحسب الأختيار كأهل فساد، ولا تُلحق هُودًا بَعَاد، وَتَفَكَّرْ لساعة كالمحققين. وأنت تعلم أن الأنبياء المستقبلية من الله الرحمن تكون كقضاة لقضايا أهل الحق وأهل العدوان، أو كجنود الله لفتح بلاد البغي والطغيان، فُتُفَرِّج ضيق المشكلات بِكَرَاتِهَا، حتى يُرى ما كان ضنكًا رحيبًا بقوة صلاحها. فتبارز هذه الأنبياء كل مناضل بمرح خضيب، حتى تقود إلى اليقين كل مرتاب ومريب، وتقطع معاذير المعترضين. وكذلك وقعت آية الاستخلاف، فإنها تَدْعُ كل طاعن حتى ينثني عن موقف الطعن والمصاف، وتُظهِر الحق على الأعداء ولو كانوا كارهين. فإن الآية تُبشِّر الناس بأيام الأمن والاطمئنان بعد زمن الخوف من أهل

الاعتساف والعدوان، ولا يصلح لمُصداقيّتها إلا خلافة الصديق كما لا يخفى على أهل التحقيق. فإن خلافة عليّ المرتضى ما كان مصداق هذا العروج والعلى والفوز الأجلى، بل لم يزل تبتزها عداها ما فيه من قوة وحِدّة مداها، وأسقطوها في هوة وتركوا حق أخوة، حتى أصاروها كبيتٍ أوهن من بيت العنكبوت، وتركوا أهلها كالمتحير المبهوت. ولا شك أن عليّا كان نُجعة الرُود وقُدوة الأجواد، وحجة الله على العباد، وخير الناس من أهل الزمان، ونور الله لإنارة البلدان، ولكن أيام خلافته ما كان زمن الأمن والأمان، بل زمان صراصر الفتن والعدوان. وكان الناس يختلفون في خلافته وخلافة ابن أبي سفيان، وكانوا ينتظرون إليهما كحيران، وبعضهم حسبوهما كفرقدي سماء وكزندين في وعاء. والحق أن الحق كان مع المرتضى، ومن قاتله في وقته فبغى وطغى، ولكن خلافته ما كان مصداق الأمن المبشّر به من الرحمن، بل أوزي المرتضى من الأقران، وديست خلافته تحت أنواع الفتن وأصناف الافتنان، وكان فضل الله عليه عظيما، ولكن عاش محزونا وأليما، وما قدر على أن يشيع الدين ويرجم الشياطين كالخلفاء الأولين، بل ما فرغ عن أسنة القوم، ومُنع من كل القصد والرّوم. وما ألّبوه بل أضبو على إكثار الجور، وما عدّوا عن الأذى بل زاحموه وقعدوا في المور، وكان صبوراً ومن الصالحين. فلا يمكن أن نجعل خلافته مصداق هذه البشارة، فإن خلافته كانت في أيام الفساد والبغى والخسارة، وما ظهر الأمن في ذلك الزمن، بل ظهر الخوف بعد الأمن، وبدأت

الفتن، وتواترت المحن، وظهرت اختلالات في نظام الإسلام، واختلافات في أمة خير الأنام، وفتحت أبواب الفتن، وسُدَّ الحقد والضغن، وكان في كل يوم جديد نزاع قوم جديد، وكثرت فتن الزمن، وطارت طيور الأمن، وكانت المفاسد هائجة، والفتن مائجة، حتى قتل الحسين سيد المظلومين.

ومن تظنّي أن الخِلافة كان أمرًا روحانيا من الله رب العالمين، وكان مصداقه المرتضى من أول الحين، ولكنه أنف واستحى أن يُجادل قومًا ظالمين، فهذا عذر قبيح، وما يتلفظ به إلا وقيح. بل الحق الذي يجب أن يُقبَل والصدق الذي لزم أن يُتقبل أن مصداق نبأ الاستخلاف هو الذي كان جامعَ هذه الأوصاف، وثبت فيه أنه فتح على المسلمين أبواب أمن وصواب، ونجّاهم من فتن وعذاب، وفلّ عن الإسلام حدّ كل ناب، وشمّر تشمير من لا يألُو جهدًا، وما لغب وما وهن حتى سوى غورًا ونجدًا، وأعاد الله على يديه الأمن المفقود، والإقبال المؤؤود، فكان الناس بعد خوفهم آمنين. والأنباء المستقبلية إذا ظهرت على صورتها الظاهرة فصرفُها إلى معنى آخر ظلمٌ وفسق بعد المشاهدة، فإن الظهور يشفي الصدور، ويهب اليقين ويلين الصخور، وإن في فطرة الإنسان أنه يُقدّم المشهود على غيره من البيان، وهذا هو المعيار لذوي العرفان. فانظُرْ مَنْ أَمَطَ عن الإسلام وعثاءه، وأعادته إلى نضرته وأزال ضرّاءه، وأهلك المفسدين، وأباد المرتدين. ودعا إلى دين الله كل فارّ، وأراهم الحق بأنوار، حتى

اكتظت المساجد بالراجعين، وأحيا الأرض بعد موتها بإذن رب العالمين، وأزال حُمى الناس مع رحضائه، ورحض درن البغي مع خيلائه بماء معين.

ورحم الله الصديق، أحيا الإسلام وقتل الزناديق، وفاض بمعرفه إلى يوم الدين. وكان بكَاءً ومن المتبتلين. وكان من عادته التضرع والدعاء والاطِّراح بين يدي المولى والبكاء والتذلل على بابه، والاعتصام بأعتابه. وكان يجتهد في الدعاء في السجدة، ويكي عند التلاوة، ولا شك أنه فخر الإسلام والمرسلين. وكان جوهره قريباً من جوهر خير البرية، وكان أول المستعدِّين لقبول نفحات النبوة، وكان أول الذين رأوا حشرا روحانيا من حاشرٍ مثل القيامة، وبدلوا الجلايب المتدلسة بالملاحف المطهرة، وضاهى الأنبياء في أكثر سير النبيين.

ولا نجد في القرآن ذكر أحد من دون ذكره قطعاً وبقينا إلا ظن الظانين، والظن لا يُعني من الحق شيئاً ولا يروي قوماً طالبين. ومن عاداه فيبينه وبين الحق باب مسدود، لا يفتح أبداً إلا بعد رجوعه إلى سيّد الصديقين. ولأجل ذلك لا نرى في الشيعة رجلاً من الأولياء، ولا أحداً من زمر الأتقياء، فإنهم على أعمال غير مرضية عند الله، وإنهم يُعادون الصالحين.

كلام موجز في فضائل أبي بكر الصديق

رضي الله عنه وأرضاه

كان ﷺ عارفاً تامَّ المعرفة، حلِيم الخلق رحيم الفطرة، وكان يعيش في زيِّ الانكسار والغربة، وكان كثير العفو والشفقة والرحمة، وكان يُعرف بنور الجبهة. وكان شديد التعلق بالمصطفى، والتصقت روحه بروح خير الوري، وغشَّيه من النور ما غشَّى مقتداه محبوب المولى، واحتفى تحت شعشعان نور الرسول وفيوضه العظمى. وكان ممتازاً من سائر الناس في فهم القرآن وفي محبة سيد الرسل وفخر نوع الإنسان. ولما تجلَّى له النشأة الأخروية والأسرار الإلهية، نفَضَ التعلقات الدنيوية، ونَبَذَ العُلق الجسمانية، وانصبغ بصبغ المحبوب، وترك كلُّ مُراد للواحد المطلوب، وتجردت نفسه عن كدورات الجسد، وتلونت بلون الحق الأحد، وغابت في مرضاة ربِّ العالمين. وإذا تمكن الحبُّ الصادق الإلهي من جميع عروق نفسه، وجذر قلبه وذرات وجوده، وظهرت أنواره في أفعاله وأقواله وقيامه وقعوده، سُمِّيَ صديقاً وأُعطيَ علماً غضا طرياً وعميقاً، من حضرة خير الواهيين. فكان الصدق له ملكة مستقرة وعادة طبيعية، وبدت فيه آثاره وأنواره في كل قول وفعل، وحركة وسكون، وحواس وأنفاس، وأُدخل في المنعمين عليهم من رب السماوات والأرضين.

وإنه كان نُسخة إجمالية من كتاب النبوة، وكان إمام أرباب الفضل والفتوة، ومن بقية طين النبيين.

ولا تحسب قولنا هذا نوعاً من المبالغة ولا من قبيل المسامحة والتجاوز، ولا من فور عين المحبة، بل هو الحقيقة التي ظهرت علياً من حضرة العزة. وكان مشربه ﷺ التوكل على رب الأرباب، وقلة الالتفات إلى الأسباب، وكان كظلٍ لرسولنا وسيدنا ﷺ في جميع الآداب، وكانت له مناسبة أزلية بحضرة خير البرية، ولذلك حصل له من الفيض في الساعة الواحدة ما لم يحصل للآخرين في الأزمنة المتطاولة والأقطار المتباعدة. واعلم أن الفيوض لا تتوجه إلى أحد إلا بالمناسبات، وكذلك جرت عادة الله في الكائنات، فالذي لم يُعطه القسّام ذرة مناسبة بالأولياء والأصفياء، فهذا الحرمان هو الذي يُعبّر بالشقوة والشقاوة عند حضرة الكبرياء. والسعيد الأتم الأكمل هو الذي أحاط عادات الحبيب حتى ضاهاه في الألفاظ والكلمات والأساليب. والأشقياء لا يفهمون هذا الكمال كالأكمه الذي لا يرى الألوان والأشكال، ولا حظ للشقي إلا من تجليات العظمت والهيبة، فإن فطرته لا ترى آيات الرحمة، ولا تشم ريح الجذبات والمحبة، ولا تدري ما المصافاة والصلاح، والأنس والانشراح، فإنها ممتلئة بظلمات، فكيف تنزل بها أنوار بركات؟ بل نفس الشقي تتموج تموجَ الرياح العاصفة، وتشغله جذباتها عن رؤية الحق والحقيقة، فلا يجيء كاهل السعادة راغبا في المعرفة. وأما الصديق فقد خُلق متوجّهاً إلى مبدأ الفيضان، ومقبلاً على رسول الرحمن،

فلذلك كان أحق الناس بجلول صفات النبوة، وأولى بأن يكون خليفة لحضرة خير البرية، ويتحد مع متبوعه ويوافقه بأتم الوفاق، ويكون له مظهراً في جميع الأخلاق والسير والعادة وترك تعلقات الأنفس والآفاق، ولا يطرأ عليه الانفكاك بالسيوف والأسنة، ويكون مستقراً على تلك الحالة ولا يزعجه شيء من المصائب والتخويفات واللوم واللعنة، ويكون الداخِل في جوهر روحه صدقا وصفاء وثباتا واتقاء، ولو ارتد العالم كله لا يُباليهم ولا يتأخر بل يقدم قدمه كل حين.

ولأجل ذلك قَفَى اللهُ ذِكْرَ الصِّدِّيقِينَ بعد النبيين، وقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾* . وفي ذلك إشارات إلى الصديق وتفضيله على الآخرين، فإن النبي ﷺ ما سُمي أحداً من الصحابة صديقاً إلا إياه، ليُظهر مقامه ورَّيَّاه، فانظر كالمُتدبرين.

وفي الآية إشارة عظيمة إلى مراتب الكمال وأهلها لقوم سالكين. وإنا إذا تدبرنا هذه الآية، وبلغنا الفكر إلى النهاية، فانكشف أن هذه الآية أكبر شواهد كمالات الصديق، وفيها سرٌّ عميق ينكشف على كل من يتمايل على التحقيق. فإن أبا بكر سُمي صديقاً على لسان الرسول المقبول، والفرقان أَلْحَقَ الصِّدِّيقِينَ بالأنبياء كما لا يخفى على ذوي العقول، ولا نجد إطلاق هذا اللقب والخطاب على أحد

من الأصحاب، فثبت فضيلة الصديق الأمين، فإن اسمه ذكر بعد النبيين.

فانظر بالإناية وفارق غشاوة الاسترابة، فإن الأسرار الخفية مطوية في إشارات القرآن، ومن قرأ القرآن فابتلع كل المعارف، ولو ما أحستها بحاسة الوجدان. وتنكشف هذه الحقائق متجردة عن الألبسة على نفوس ذوي العرفان، فإن أهل المعرفة يسقطون بحضرة العزة، فتمسّ روحهم دقائق لا تمسّها أحدٌ من العالمين. فكلما تمّ كلمات، ومن دونها خرافات، ولكنهم يتكلمون بأعلى الإشارة حتى يتجاوزون نظر النظارة، فيكفّرهم كل غبي من عدم فهم العبارة. فإنهم قوم منقطعون لا يُشاههم أحدٌ ولا يُشاهون أحدًا، ولا يعبدون إلا أحدًا، ولا ينظرون إلى المتلاعبين. كفّلهم الله كرجل كفّل يتيما، ففوضه إلى مرضعة حتى صار فطيما، ثم ربّاه وعلمه تعليما، ثم جعله وارث وراثته، ومنّ عليه منّا عظيما، فتبارك الله خير المحسنين.

في فضائل علي رضي الله عنه

اللهم وال من والاه وعاد من عاداه

كان رضي الله عنه تقيًا نقيًا من الذين هم أحب الناس إلى الرحمن، ومن نخب الجليل وسادات الزمان. أسد الله الغالب وفتى الله الحنّان، نديّ الكف طيب الجنان. وكان شجاعا وحيداً لا يُزايِل مركزه في الميدان ولو قابله فوج من أهل العدوان. أنفد العمر بعيش أنكد وبلغ النهاية في زهادة نوع الإنسان. وكان أول الرجال في إعطاء النشب وإماطة الشجب وتفقد اليتامى والمساكين والجيران. وكان يجلي أنواع بسالة في معارك وكان مظهر العجائب في هيجاء السيف والسنان. ومع ذلك كان عذب البيان فصيح اللسان. وكان يُدخل بيانه في جذر القلوب ويجلو به صداً الأذهان، ويجلي مطلععه بنور البرهان. وكان قادراً على أنواع الأسلوب، ومن ناضله فيها فاعتذر إليه اعتذار المغلوب. وكان كاملاً في كل خير وفي طرق البلاغة والفصاحة، ومن أنكر كماله فقد سلك مسلك الوقاحة. وكان يندب إلى مواساة المضطرّ، ويأمر بإطعام القانع والمعترّ، وكان من عباد الله المقربين.

ومع ذلك كان من السابقين في ارتضاع كأس الفرقان، وأعطى له فهم عجيب لإدراك دقائق القرآن. وإني رأيتُه وأنا يقظان لا في المنام، فأعطاني تفسير كتاب الله العلام، وقال: هذا تفسيري، والآن

أُولِيَّتَ فَهَيْتَ بِمَا أُوتِيَتْ. فبَسَطْتُ يَدِي وَأَخَذْتُ النَفْسِيرَ، وَشَكَرْتُ
 اللَّهُ الْمُعْطِيَ الْقَدِيرَ. وَوَجَدْتُهُ ذَا خَلْقٍ قَوِيمٍ وَخُلُقٍ صَمِيمٍ، وَمَتَوَاضِعًا
 مُنْكَسِرًا وَمَتَهَلِّلًا مُنَوَّرًا. وَأَقُولُ حَلْفًا إِنَّهُ لِأَقَابِي حُبًّا وَأُلْفًا، وَأُلْقِي فِي
 رُوعِي أَنَّهُ يَعْرِفُنِي وَعَقِيدَتِي، وَيَعْلَمُ مَا أَحْخَالِفُ الشَّيْعَةَ فِي مُسْلِكِي
 وَمَشْرِبِي، وَلَكِنْ مَا شَمَخَ بِأَنْفِهِ عُنْفًا، وَمَا نَأَى بِجَانِبِهِ أَنْفًا، بَلْ وَافَانِي
 وَصَافَانِي كَالْحَبِيبِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَأَظْهَرَ الْحُبَّ كَالْمُصَافِينَ الصَّادِقِينَ.
 وَكَانَ مَعَهُ الْحُسَيْنُ بِلِ الْحُسَيْنِ وَسَيِّدُ الرُّسُلِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَكَانَتْ
 مَعَهُمْ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ صَالِحَةٌ جَلِيلَةٌ مَبَارَكَةٌ مَطْهَّرَةٌ مُعْظَمَةٌ مُوقِرَةٌ بَاهِرَةٌ
 السُّفُورِ ظَاهِرَةٌ النُّورِ، وَوَجَدْتُهَا مَمْتَلِئَةٌ مِنَ الْحُزَنِ وَلَكِنْ كَانَتْ كَاتِمَةٌ،
 وَأُلْقِي فِي رُوعِي أَنَّهَا الزَّهْرَاءُ فَاطِمَةُ. فَجَاءَتْنِي وَأَنَا مُضْطَجِعٌ فَقَعَدْتُ
 وَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى فِخْذِهَا وَتَلَطَّفْتُ، وَرَأَيْتُ أَنَّهَا لِبَعْضِ أَحْزَانِي
 تَحْزَنُ وَتَضْجُرُ وَتَتَحَنَّنُ وَتَتَقَلَّقُ كَأُمَّهَاتٍ عِنْدَ مُصَائِبِ الْبَنِينَ. فَعُلِّمْتُ
 أَنِّي نَزَلْتُ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الْإِبْنِ فِي عُقْلِ الدِّينِ، وَخَطَرَ فِي قَلْبِي أَنْ حَزَنُهَا
 إِشَارَةٌ إِلَى مَا سَأَرَى ظَلَمًا مِنَ الْقَوْمِ وَأَهْلِ الْوَطَنِ الْمُعَادِينَ. ثُمَّ جَاءَنِي
 الْحُسَيْنَانُ، وَكَانَا يَبْدِيَانِ الْحُبَّ كَالْإِخْوَانَ، وَوَافِيَانِي كَالْمُوَاسِينَ. وَكَانَ
 هَذَا كَشْفًا مِنْ كَشُوفِ الْيَقِظَةِ، وَقَدْ مَضَتْ عَلَيْهِ بُرْهَةٌ مِنْ سِنِينَ.

وَلِي مَنَاسِبَةٌ لَطِيفَةٌ بَعْلِيَّ وَالْحُسَيْنِ، وَلَا يَعْلَمُ سِرَّهَا إِلَّا رَبُّ
 الْمَشْرِقِينَ وَالْمَغْرِبِينَ. وَإِنِّي أَحَبُّ عَلِيًّا وَابْنَاهُ، وَأَعَادِي مِنْ عَادَاهُ، وَمَعَ
 ذَلِكَ لَسْتُ مِنَ الْجَائِرِينَ الْمُتَعَسِّفِينَ. وَمَا كَانَ لِي أَنْ أَعْرُضَ عَمَّا
 كَشَفَ اللَّهُ عَلَيَّ، وَمَا كُنْتُ مِنَ الْمُعْتَدِينَ. وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا فَلِي عَمَلِي
 وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ، وَسِيحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.

الباب الثاني

في المهدي الذي هو آدم الأُمَّة وخاتم الأئمة

اعلموا أن الله الذي خلق الليل والنهار، وأبدأ الظلمات والأنوار، قد جرت عادته من قديم الزمان وأوائل الأزمنة والأوان، أنه لا يتوجّه إلى إصلاح إلا بعد رؤية كمال طلاح، وإذا بلغت الآفة مداها، وانتهت البلية إلى منتهاها، فتوجه العناية الإلهية إلى إماطتها، وإلى خلق شيء يكون سببا لإزالتها. وأما مثله فيوجد في العالم الجسماني أمثلة واضحة ونظائر بيّنة جليّة للذي اعترته شبهة أو كان من الغافلين.

فأكبر الأمثلة سنة ربانية توجد في نزول الأمطار والمرايع التي تنزل لتنضير الزروع والأشجار، فإن المطر النافع لا ينزل إلا في أوقات الاضطرار، ويُعرف وقته عند شدة الحاجة وقرب الأخطار، فإذا الأرض يبست وهمدت، واصفر كل ما أنبت وأخرجت، ومست الضراء أهلها والمصائب نزلت وسقطت، وظن الناس أنهم أهلكوا، والدواهي قربت ودنت، وما بقي في الأضى قطرة ماء، والغدر نتنت، فيُغاثون الناس في هذا الوقت ويحيي الله الأرض بعد موتها، وترى البلدة اهتزت وربت، وترى كل زرع أخرج الشطأ وكل الأرض اخضرت ونضرت، وصار الناس بعد الخطرات آمنين.

وهذه عادة مستمرة، وسنة قديمة، بل تزيد الشدة في بعض الأوقات وتتجاوز حد المعمولات، وترى بلدة قد أمحلت ذات العويم، وما بقي من جهام فضلا عن العيم، وما بقي بلالة من الماء ولا علالة من ذخائر الشتاء، وما نزلت قطرة من قطر مع طول أمد الانتظار، ولاحت آثار قهر القهار، وأحال الخوف صور الناس، وغلب الخيب وظهر طيران الحواس، وصار الريف كأرض ليس فيها غير الهباء والغبار، وما بقي ورق من الأشجار، فضلا عن الأثمار، فيضطر الناس أشد الاضطرار، وكادوا أن يهلكوا من آثار اليأس والتبار؛ فتوجه إليهم العناية، ويدركهم رحم الله وتظهر الآية، وتنضر أرضهم من الأمطار، ووجوههم من كثرة الثمار، فيصبحون بفضل الله محصبين. ذلك مثل الذين أتت عليهم أيام الضلال، وحلت بهم أسباب مضلة حتى زاغوا عن محجة ذي الجلال، فأدركهم ذات بكرة وابل من مزن رحمته، وبعث مجدد لإحياء الدين، فأخذ الظالمون ظنّ السوء يعتذرون إلى الله رب العالمين.

وآخرون يكذبونه ويقولون ما أنزل الله من شيء، وإن أنت إلا من المفترين. فينزل الوابل تنزراً حتى لا يُبقي من سوء الظن أثرا، فيرجع الراجعون إلى الحق متندمين. وأمّا الأشقياء فما ينتفعون من وابل الله شيئا، بل يزيدون بغيا وظلما وعسفا، وكانوا قوماً ظالمين. وما اغترفوا من ماء الله وما شربوا، وما اغتسلوا وما توضأوا، وما كانوا أن يسقوا الحرث، وكانوا قوماً محرومين، فما رأوا الحق لأنهم كانوا عمين، وإن في ذلك لآيات لقوم مفكرين.

ومثل آخر لمرسل الخلاق وهو ليالي المحاق كما لا يخفى على المعين الرماق وعلى المتدبرين. فإنها ليالٍ داجية الظلم، فاحمة اللمم، تأتي بعد الليالي المنيرة كالأفان الكبيرة، فإذا بلغ الظلام منتهاه، وما بقي في ليل سناه، فيعشو الله أن يزيل الظلام المركوم، ويبرز النير المغوم، فيبدأ الهلال ويملاً أمناً ونوراً الليل المهال، وكذلك حرت سنّته في أمور الدين. فيا حسرة على أهل الشقاق، إنهم يحكمون بقرب الهلال عند مجيء ليالي المحاق، ويرقبونه كالمشتاق، ولكنهم لا ينتظرون في ظلام الدين هلالاً ولو بلغ الظلام كمالاً. فالحق والحق أقول إنهم قوم حمقى، وما أُعطي لهم من المعقول حظ أدنى، وما كانوا مستبصرين.

هذا ما شهدت سنّة الله الجارية لنوع الإنسان، وثبت أن الله يُري مسالك الخلاص بعد أنواع المصائب والذوبان. فلما كان من عادات ذي الجلال والإكرام أنه لا يترك عباده الضعفاء عند القحط العام في الآلام، ولا يريد أن ينفك نظام يتبعه عطب الأجسام، فكيف يرضى بفق نظام فيه موت الأرواح ونار جهنم للدوام؟ ثم إذا نظرنا في القرآن فوجدناه مؤيداً لهذا البيان، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^٦، وإن في ذلك لبشرى لكل من تزكّى، وإشارة إلى أن الناس إذا رأوا في زمان ضرراً وضيراً، فيرون في آخر نفعاً وخيراً، ويرون رخاءً بعد بلاء في الدين والدنيا.

٦ الانشراح: ٦-٧

وكذلك قال في آية أخرى لقوم يسترشدون: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾* فأمعنوا فيه إن كنتم تفكرون. فهذه إشارة إلى بعث مجدد في زمان مفسد كما يعلمه العاقلون. ولا معنى لحفاظة القرآن من غير حفاظة عطره عند شيوع نتن الطغيان، وإثباته في القلوب عند هب صراصر الطغيان، كما لا يخفى على ذوي العرفان والمتدبرين.

وإثبات القرآن في قلوب أهل الزمان لا يمكن إلا بتوسط رجل مُطَهَّر من الأدناس، ومخصوص بتجديد الحواس، ومُنَوَّر بنفخ الروح من رب الناس، فهو المهدي الذي يهدي من رب العالمين، ويأخذ العلم من لدنه ويدعو الناس إلى طعام فيه نجاة المدعوين. وإنما هو كإناء فيه أنواع غذاء، من لبن سائغ وشبواء، أو هو كنار شتاء، وللمقرور أشهى أشياء، أو كصحفة من الغرب فيها حلواء القند والضرب، فمن جاءه أكل الحبيص، ومن أعرض فأخذ ولا محيص، وسيلقى السعير ولو ألقى المعاذير. فثبت أن وجود المهديين عماد الدين، وتنزل أنوارهم عند خروج الشياطين، وتحيطهم كثير من الزمر كهالات القمر. ولما كان أغلب أحوال المهديين أنهم لا يظهرون إلا عند غلبة الضالين والمضلين، فسُمِّوا بذلك الاسم إشارة إلى أن الله ذا المجد والكرم طهَّره من الذين فسقوا وكفروا، وأخرجهم بأيديه من الظلمات إلى النور، ومن الباطل إلى الحق الموفور، وجعلهم ورثاء علم النبوة وأعطاهم حظاً منه، ودقق مداركهم وعلمهم من لدنه، وهداهم سبلاً ما كان لهم أن يعرفوا،

* الحجر: ١٠.

وأراهم طرفاً ما كان لهم أن ينظروا لولا أن أراهم الله، ولذلك سُموا مهديين.

وأما المهدي الموعود الذي هو إمام آخر الزمان، ومنتظر الظهور عند هبِّ سموم الطغيان، فاعلم أن تحت لفظ المهدي إشارات لطيفة إلى زمان الضلالة لنوع الإنسان، وكأنَّ الله أشار بلفظ المهدي المخصوص بالهداية إلى زمان لا تبقى فيه أنوار الإيمان، وتسقط القلوب على الدنيا الدنيّة ويتركون سبل الرحمن، وتأتي على الناس زمان الشرك والفسق والإباحة والافتتان، ولا تبقى بركة في سلاسل الإفادات والاستفادات، ويأخذ الناس يتحركون إلى الارتدادات والجهلات، ويزيد مرض الجهل والتعامي، مع شوقهم في سير المعامي والموامي، ويُعرضون عن الرشاد والسداد، ويركنون إلى الفسق والفساد، وتطير جراد الشقاوة على أشجار نوع الإنسان، فلا تبقى ثمرة ولا لدونة الأغصان. وترى أن الزمان من الصلاح قد خلا، والإيمان والعمل أجفلا، وطريق الرشاد عُلق بثرية السماء. فيذكر الله مواعيده القديمة عند نزول الضراء، ويرى ضعف الدين ظاهراً من كل الأنحاء، فيتوجه ليُطفئ نار الفتنة الصماء، فيخلق رجلاً كخلق آدم بيدي الجلال والجمال، وينفخ فيه روح الهداية على وجه الكمال. فتارة يُسميه عيسى بما خلقه كخلق ابن مريم لإتمام الحجّة على النصارى، وتارة يدعوّه باسم مهدي أمين بما هو هُديّ من ربه للمسلمين الضالين، وأُخرج للمحجوبين منهم ليقودهم إلى رب العالمين. هذا هو الحق الذي فيه تمترون، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

أحيا عبداً من عباده ليدعو الناس إلى طرق رشاده، فاقبلوا أو لا تقبلوا، إنه فعل ما كان فاعلاً. أنتم تضحكون ولا تبكون، وتنظرون ولا تبصرون.

أيها الناس لا تغلوا في أهوائكم، واتقوا الله الذي إليه تُرجعون. ما لكم لا تقبلون حكم الله وكنتم تنتظرون؟ شهدت السماء فلا تبالون، ونطقت الأرض فلا تفكرون. وقالوا إنا لا نقبل إلا ما قرأنا في آثارنا ولو كانت آثارهم مبدلة أو وضعها الواضعون؟ أيها الناس انظروا ههنا وههنا، فاتركوا الدخن واقبلوا ما بان ودنا، ولا تتبعوا الظنون أيها المتقون. قد عدل الله بيننا فلا تعدلوا عن عدله، ولا تركنوا إلى الشقاء أيها المسلمون. يا ذراري الصالحين.. لا تكونوا في يدي إبليس مرتهين، ما لكم لا تتطهرون. واعلموا أن الله تدليات ونفحات، فإذا جاء وقت التدلي الأعظم فإذا الناس يستيقظون، وكل نفس تتنبه عند ظهوره إلا الفاسقون. ولكل تدل عنوان وشأن يعرفه العارفون. وأعظم التدليات يأتي بعلوم مناسبة لأهل الزمان، ليطفئ نائرة أهل الطغيان، فينكرها الذين كانوا عاكفين على أصنامهم فيسبون ويكفرون، ولا يعلمون أنها فايضة من السماء، وأنها شفاء للذين تنفروا من قول المخطئين الجاهلين وكانوا يترددون، فينزل الله لهم علوماً ومعارف تناسب مفاصد الوقت فهم بها يطمئنون، كأها ثمر غض طري وعين جارية، فهم منه يأكلون ومنها يشربون.

فحاصل البيان أن المهدي الذي هو مجدد الصلاح عند طوفان
الصلاح، ومبلغ أحكام ربّ الناس إلى حد الإبساس، سُمّي مهدياً
موعوداً وإماماً معهوداً وخليفة الله رب العالمين. والسر الكاشف في
هذا الباب أن الله قد وعد في الكتاب أن في آخر الأيام تنزل
مصائب على الإسلام، ويخرج قوم مفسدون ومن كل حدب
ينسلون، فأشار في قوله ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾[□] أنهم يملكون كل
حصب وجدب، ويحيطون على كل البلدان والديار، ويُفسدون
فساداً عاماً في جميع الأقطار، وفي جميع قبائل الأحيار والأشرار،
ويضلّون الناس بأنواع الحيل وغوائل الزخرفة، ويلوثون عرض
الإسلام بأصناف الافتراء والتهمة، ويظهر من كل طرف ظلمة على
ظلمة، ويكاد الإسلام أن يزهق بتبعة، ويزيد الضلال والزور
والاحتيال، ويرحل الإيمان وتبقى الدعاوي والدلال، حتى يخفى على
الناس الصراط المستقيم، ويشتهب عليهم المهجع القديم. لا ينتهجون
محجة الاهتداء، وتزلّ أقدامهم وتغلب سلسلة الأهواء، ويكون
المسلمون كثير التفرقة والعناد، ومنتشرين كانتشار الجراد، لا تبقى
معهم أنوار الإيمان وآثار العرفان، بل أكثرهم ينخرطون في سلك
البهائم أو الذياب أو الثعبان، ويكونون عن الدين غافلين. وكل
ذلك يكون من أثر يأجوج ومأجوج، ويشابه الناس العضو المفلوج
كأنهم كانوا ميتين.

□ الأنبياء: ٩٧

ففي تلك الأيام التي يموج فيها بحر الموت والضلال، ويسقط الناس على الدنيا الدنيّة ويعرضون عن الله ذي الجلال، يخلق الله عبداً كخلقه آدم من كمال القدرة والربوبية، من غير وسائل التعاليم الظاهرية، ويُسمّيه آدم نظراً على هذه النسبة، فإن الله خلق آدم بيديه وعلمه الأسماء كلها، ومنّ منّا عظيماً عليه وجعله مهدياً، وجعله من المستبصرين.

وكذلك سماه عيسى ابن مريم بالتصريح بما كان خلقه وبعثه كمثل المسيح، وبما كان سيره كسرّه المستور، وكانا في علل الظهور من المتحدّين. وتشابهت فتن زمنهما وصور إصلاحهما، وتشابهت قلوب أعداء الدين. فالعلامة العظمى لزمان المهدي ظلّمة عظيمة من فتن قوم يأجوج ومأجوج إذا علوا في الأرض وأكملوا العروج، وكانوا من كل حدب ناسلين[•]. وفي اسم المهدي إشارات إلى هذه الفتن لقوم متفكرين. فإن اسم المهدي يدل على أن الرجل المسمى به أُخرج من قوم ضالين، وأدركه هدى الله ونجاه من قوم فاسقين. فلا شك أن هذا الاسم يدل على مفاصد الزمان بمُجملٍ مطوّيٍّ من البيان، ويذكر من زمن الظلمات ووقت الظلمات وأوان نزول الآفات، ويشير إلى شوائب الدهر ونوائبه، وغرائب القادر وعجائبه من تأييد المستضعفين. ويدل بدلالة قطعية على أن المهدي لا يظهر

• الحاشية: هذه هي العلامة القطعية لآخر الزمان وقرب القيامة كما جاء في مسلم من خير البرية. قال قال رسول الله ﷺ: تقوم القيامة والروم أكثر من سائر الناس. وأراد من الروم النصارى كما هو مُسلّم عند ذوي الأدراس والأكياس والمحدّثين. منه

إلا عند ظهور الفتن المبيدة والظلمات الشديدة، فإذا كثر الضلال وزاد اللدود والجدال، وعدم العمل الصالح وبقي القيل والقال، فيقتضي هذا الحال أن يهدي رجلاً الربُّ الفعَّال، وتتضرع الظلمة في الحضرة لينزل نورٌ لتنوير المحجَّة، فتنزل الملائكة والروح في هذه الليلة الخالكة بإذن رب ذي القدرة الكاملة، فيجعلُ رجل مهدياً ويُلقي الروح عليه، ويُنور قلبه وعينه، ويُعطى له السؤدد والمكرمة موهبة، ويُجعل له التقوى حلية، ويدخل في عباد الله المنصورين. فإن البغي إذا بلغ إلى انتهاء، فهذا هو يومُ حكم وقضاء، وفصل وإمضاء، وعون وإعطاء، ولو لا دفعُ الله الطلاحَ بأهل الصلاح لفسدت الأرض ولسُدَّت أبواب الفلاح ولهلك الناس كلهم أجمعين. فلاجل ذلك جرت سنة الله أنه لا يُظهر ليلة ليلاء إلا ويُري بعدها قمراء، وإنه جعل مع كل عسرٍ يسراً، ومع كل ظلام نوراً. ففكر في هذا النظام ليظهر عليك حقيقة المرام، وإن في ذلك لآيات للمتوسمين.

واعلم أن ظلمة هذا الزمان قد فاقت كل ظلمة بأنواع الطغيان، وطلعت علينا آثارٌ مخوفة وفتن مذيبة الجنان، والكفار نسلوا من كل حذب كالسرحان ناهبين. فحان أن يُعان المسلمون ويُقوى المستضعفون، ويوهن كيد الدجالين. ألم تمتلئ الأرض ظلماً، وسفَهت النفوس أحلاماً، ونَحَّت الناس أصناماً، وغلب الكفر وحق به الظفر وقلَّ التخفُّر، فزحرفوا الزور الكبير وزينوا الدقارير، وصالوا بكل ما كان عندهم من لطم، وما بقي على كيد من ختم، واتفق

كل أهل الطلاح، وصاروا كالماء والراح، وطفق زمر الجهال يتبعون آثار الدجال، ومن يقبل مشرب هذيانهم يكون خالصةً خلصانهم. ووالله إن خباثتهم شديدة، وأما حلمهم فمكيدة، بل هو أحبولة من حبال ختلهم، ورَسَنُ استمر من فتلهم، وستعرفون دجاليتهم متلهّفين.

وإنهم قوم تفور المكائد من لسانهم وعينهم وأنفهم وأذنيهم، ويديهم وأصديريهم ورجليهم ومذروعيهم، وأرى كل مضغة من أعضائهم واثبة كالمالكين. فسد الزمان وعمّ الفسق والعدوان وتنصرت الديار والبلدان؛ فالله المستعان. والناس يُدجلون في الليلة الليلاء ويعرضون عن الشمس والضياء، ويضيعون الإيمان للأهواء متمعدين. وأرى القسيسين كالذي أكتبه قنص، أو بدت له فرص، وأجدهم بأنواع حيل قانصين.

ومن مكائدهم أنهم يأسون جراح الموهوس، ويريشون جناح المقصوص، لعلهم يُسخرّون قوما طامعين. يُرغّبون ضللاً بن ضلٍّ، ويفرضون له من كل كثيرٍ وقلٍّ، لعلهم يجبسونه بغلٍّ، ثم يُسقطونه في هوة المهالكين. يُيادرون إلى جبر الكسير وفكّ الأسير ومواساة الفقير، بشرط أن يدخل في دينهم الذي هو وقود السعير، ويرغّبونهم إلى بناتهم وأنواع لذاتهم ليغترّ الخلق بجهالتهم ويجعلوهم كأنفسهم مفسدين. فالناس لا يرجعون إليهم بأناجيل متلوة، بل بخطبة مجلوة أو بمال مجّان كالناهبين. ولا يتنصرون لأعتاب الرؤوف البرّ، بل يهرولون لاحتلاب الدرّ لكي يكونوا متنعمين. وكذلك أشاعوا

الضلالات ومدّوا أطناهما، وفتحوا من كل جهة باهما، وأعدّوا شهوات الأجوّفين ودعوا طلابها، فإذا يُسّرَ لأحد منهم العقد، أو أُعطيَ له النقد، وآمنوه من عيش أنكد، فكأنّ قدّ. وكذلك كانت فحّ سيرهم، وشباك حيلهم، ولأجلها اصطفّ لديهم زُمر من الكسالى، لا يعلمون إلا الأكل والشرب والدلال، ولا يوجد صغوهم إلا إلى شرب المدام أو إلى العيد وأطايب الطعام، فيعيشون قرير العين بوصال العين ووصول العين. وكذلك لا يألو القسيسون جُهداً في إضلال العوام، ويُنعمون على الذين هم كالأنعام، وينفضون عليهم أيادي الإنعام، ويوطنوهم أمتع مقام من الإكرام، وتراهم مكّبين على الحطام، كأنهم هنيّدة من راغية، أو ثلّة من تاغية. فهؤلاء هم الدجال المعهود، فليسرّ عنك إنكارك المردود. وإن هذه الأيام أيام اقتحام الظلام، وأظلال خيام يوم القيام، وإنا اغتمدنا الليل واقتحمنا السيل مخبطين. وفي منازلنا طرق يضلّ بها خفير، ويحار فيها نحير، وخوفنا يومنا الصعب الشديد، ورأينا ما كنا منه نحيد، وليس لنا ما يشجّع القلب المزعود، ويحدو النضو المجهود إلا ربنا رب العالمين.

والناس قد استشرفوا تلفاً وامتلاًوا حزناً وأسفاً، ونسوا كل رزء سلف وكل بلاء زلف، ويستنشئون ريح مُغيث ولا يجدون من غير تنن خبيث، فهل بعد هذا الشر شر أكبر منه يُقال له الدجال؟ وقد انكشف الآثار وتبينت الأهوال، ورأينا حماراً يجوبون عليه البلدان، فيطسّ بأخفافه الظّرّان، ويجعل سنةً كشهر عند ذوي العينين، ويجعل

شهرًا كيوم أو يومين، ويعجب المسافرين. إنه مركبٌ جَوَّابٌ لا تواهقه ركاب، ولا ثنية ولا ناب، والسبل له جُدِّدت، والأزمنة بظهوره اقتربت، والعِشار عَطَّلت، والصحف نُشرت،* والجبال

* اعلم أن القرآن مملوٌّ من الأنباء المستقبلية والواقعات العظيمة الآتية، ويقتاد الناس إلى السكينة واليقين، وعِشاره تخور لحمل السالكين في كل زمان، وأعشاره تفور لتغذية الجائعين في كل أوان، وهو شجرة طيبة يؤتي أكله كل حين، وذُلَّت قطوفه في كل وقت للمجتنين. فما من زمن ما له من ثمر، ولا تعطل شجرته كشجرة عنبٍ وتمرٍ، بل يُري ثمراته في كل أمر، ويُطعم مستطعمين. ومن أعظم معجزاته أنه لا يغادر واقعة من الواقعات التي كانت مفيدة للناس أو مُضرة، ولكن كانت من المعظّمات، كما قال ﷺ: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، وفي هذا إشارة من رب عليم إلى أن كل ما يُفَرَّق في ليلة القدر من أمرٍ ذي بال، فهو مكتوب في القرآن كتاب الله ذي كل عظمة وجلال، فإنه نزل في ليلة القدر بنزول تام، فبورك منه الليل بإذن رب علام؛ فكل ما يوجد من العجائب في هذه الليلة يوجد من بركات نزول هذه الصحف المباركة؛ فالقرآن أحق وأولى بهذه الصفات، فإنه مبدأ أول هذه البركات، وما بوركت الليلة إلا به من ربّ الكائنات، ولأجل ذلك يصف القرآن نفسه بأوصاف توجد في ليلة القدر، بل الليلة كالهلال وهو كالبدر، وذلك مقام الشكر والفخر للمسلمين.

وإني نظرت مرارا فوجدتُ القرآن بحرا زخارًا، وقد عظّمه الله أنواعا وأطوارًا، فما للمخالفين لا يرجون له وقارًا، وأنكروا عظّمته إنكارًا؟ ويتكئون على أحاديث ما طهّر وجهها حق التطهير، ويتركون الحق الخالص للدقارير، ولا يخافون ربّ العالمين. وإذا قيل لهم تعالوا إلى كتاب سواء بيننا وبينكم لتخلصوا من الظلام وتُفتَح أعينكم، قالوا كفى لنا ما سمعنا من آباءنا الأولين. أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا من حقائق الدين؟

وإني فكرتُ حق الفكر، فوجدتُ فيه كل أنواع الذكر، وما من رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. ومن أنبأه أنه أخير عن نشر الصحف في آخر الزمان، وكذلك ظهر الأمر في هذا الأوان، وقد بدت في هذا الزمن كتب مفقودة بل مؤوودة حتى إن كثرتها

دُكَّتْ، والبحار فُجِّرَتْ، والنفوس زُوِّجَتْ، وجُعِلت الأرض كأنها مطويّة ومزلف طرفيها، وثُرِكت القِلاص فلا يُسعى عليها. وليس هذا محلّ إلباس، بل أرصده الله لخير الناس، ولو كان من صنع الدجّالين. فهذه المراكب جارية مذ مُدّة، وليست سواها قعدة، وفيها آيات للمتفطّنين.

تعجب الناظرين. وظهرت كل وسائل الإشاعة والكتابة، ولا بد من أن نقبل هذا الأمر من غير الاسترابة، وإن كنتَ في شك من هذا فأْت نظيره من زمن الأولين. ومن أبناء العليم القهار أنه أخطر من تعطيل العِشار وتفجير البحار وتزويج الديار، فظهر كما أخطر، فتبارك عالم غيوب السماوات والأرضين. وأخطر عن قوم ذوي خصب ينسلون من كل حدب ويعلون علوًّا كبيرًا، ويُفسدون في الأرض فسادًا مبيّرًا، فرأينا تلك القوم بأعيننا ورأينا غلوّهم وغلبتهم بلغت مشارق الأرض ومغاربها. تكاد السماوات يتفطرن من مفاسدهم، يلبسون الحق بالباطل وكانوا قومًا دجّالين. اتخذوا الحلم والإطماع والتحريف المتاع شبكة الإضلال، وأهلكوا خلقًا كثيرًا من هذا التثليث كالمغتال، وكل من يقصد منهم طُرق الغول الخبيث فلا بدّ له من هذا التثليث. فيهلكون بعض الناس بالحلم المبني على الاختداع بأنواع الأطماع، وبعضًا آخر بظلام التحريف الذي هو عدو الشعاع، وكذلك يُضلّون الخلق متعمدين. وما نفعهم حديث الأب والابن وروح القدس، وإن هو إلا الحديث، ولكن نفعهم هذا التثليث ففازوا بمطالب الخبث والرّجس، فعجبت لهم كيف أُيدوا من روح القدس، ونسلوا من كل حدب فرحين. ولكل أمر أجل، فإذا جاء الأجل فلا ينفع الكائدين كيدهم ولا يطيقون قِبَل الصادقين. منه

=====

فثبت من هذا البيان أن هذا هو وقت ظهور المهدي ومسيح الزمان، فإن الضلالة قد عمّت، والأرض فسدت، وأنواع الفتن ظهرت، وكثرت غوائل المفسدين. وكل ما ذكر في القرآن من علامات آخر الزمان فقد بدت كلها للناظرين.

والذين يرقبون ظهور المهدي من ديار العرب، أو من بلدة من بلاد الغرب، فقد أخطأوا خطأ كبيراً وما كانوا مُصيّبين. فإن بلاد العرب بلاد حفظها الله من الشرور والفتن ومفاسد كفار الزمن، ولا يُتَوَقَّع ظهور الهادي إلا في بلاد كثرت فيها طوفان الضلال، وكذلك جرت سنة الله ذي الجلال. وإنا نرى أن أرض الهند مخصوصة بأنواع الفساد، وفتحت فيها أبواب الارتداد، وكثر فيها كل فسق وفجور، وظلم وزور، فلا شك أنها محتاجة بأشدّ الحاجة إلى نصره الله ذي العزة والقدرة، ومجيء مهديٍّ من حضرة العزة. والله لا نرى نظير فساد الهند في ديار أخرى، ولا فتناً كفتن هذه النصارى. وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن الدجال يخرج من الديار المشرقية، والقرآن يشير إلى ذلك بالقرائن البينة، فوجب أن نحكم بحسب هذه العلامات الثابتة البديهة، ولا نتوجه إلى إنكار المنكرين.

والذين يرقبون المهدي في مكة أو المدينة فقد وقعوا في الضلالة الصريحة. وكيف، والله كفل صيانة تلك البقاع المباركة بالفضل الخاص والرحمة، ولا يدخل رعب الدجال فيها، ولا يجد أهلها ريح هذه الفتنة. فالبلاد التي يخرج فيها الدجال أحق وأولى بأن يرحم

أهلها الربُّ الفعال، ويبعث فيهم من كان نازلاً بالأنوار السماوية كما خرج الدجال بالقوى الأرضية كالشياطين.

وأما ما قيل أن المهدي مُختفٍ في الغار فهذا قول لا أصل له عند ذوي الأبصار، وهو كمثل قولهم أن عيسى لم يمت بل رُفع بجسمه إلى السماء، وينزل عند خروج الدجال والفتنة الصمّاء، مع أن القرآن يُخبر عن وفاته ببيان صريح مبين. فالحق أن عيسى والإمام محمد أطرحا عنهما جلايب أبدانهما وتوفاهما ربّهما وألحقهما بالصالحين، وما جعل الله لعبد خُلداً، وكل كانوا من الفانين. ولا تعجّب من أخبار ذكر فيها قصة حياة المسيح، ولا تلتفت إلى أقوال فيها ذكر حياة الإمام ولو بالتصريح، وإنها استعارات وفيها إشارات للمتوسّمين.

والبيان الكاشف لهذه الأسرار، والكلام الكامل الذي هو رافع الأستار، أن لله عادة قديمة وسُنّة مستمرة أنه قد يُسمّي الموتى الصالحين أحياء، ليفهمّ به أعداءً أو يبشّر به أصدقاءً، أو يُكرم به بعض عباده المتقين، كما قال **وَعَلَىٰ فِي الشَّهَدَاءِ**: لا تحسبوهم أمواتا بل أحياء، ففي هذا إيماء إلى أن الكافرين كانوا يفرحون بقتل المؤمنين وكانوا يقولون **إِنَّا قَتَلْنَاكُمْ** وإننا من الغالبيين. وكذلك كان بعض المسلمين محزونين بموت إخوانهم وخلائمهم وأبائهم وأبنائهم مع أنهم قُتلوا في سبيل ربّ العالمين، فسكّت الله الكافرين المخذولين بذكر حياة الشهداء، وبشّر المؤمنين المحزونين أن أقاربهم من الأحياء وأنهم لم يموتوا وليسوا بميتين. وما ذكر في كتابه المبين أن الحياة حياة

روحاني وليس كحياة أهل الأرضين، بل أكد الحياة المظنون بقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^①، وردّ على المنكرين.

فكيف تعجب من قول: لم يمت عيسى، وقد جاء مثل هذا القول لقوم لحقوا بالموتى وماتوا بالاتفاق، وقتلوا بالإهرياق، ودُفِنوا باليقين. أما يكفي لك حياة الشهداء بنص كتاب حضرة الكبرياء مع صحة واقعة الموت بغير التماري والامتراء، فأيّ فضل وخصوصية لحياة عيسى مع أن القرآن يسمّيه المتوفّى، فتدبّر فإنك تُسأل عن كلّ خيانة ونفاق في يوم الدين. يومئذ يتندّم المبطل على ما أصرّ، وعلى ما أعرض عنه وفرّ، ولكن لا ينفع الندم إذ الوقت مضى ومرّ، وكذلك تطلع نار الله على أفئدة الكاذبين. فويل للمزورين الذين لا ينتهون عن تزويدهم بل يزيدون كل يوم وكل حين. وكفى لخيانتك أن تتبع بغير تحقيق كل قول رقيق بلغ آذانك، وما تطهرّ من الجهلات جنانك، وتسقط على كل خضراء الدمن، كأهل الأهواء ومُحبّي الفتن، ولا تفتش الطيب كالطيبين.

وقد علمت أن إطلاق لفظ الأحياء على الأموات وإطلاق لفظ الحياة على الممات ثابت من النصوص القرآنية والمحكمات الفرقانية، كما لا يخفى على المستطلعين الذين يتلون القرآن متدبّرين، ويصكّون أبوابه مستفتحين. فينير عليك من هذه الحقيقة الغراء الليل

① آل عمران: ١٧٠

الذي اكفهرَّ على بعض العلماء حتى اثنوا مُحَقِّقَيْنِ بعدما كانوا مستقيمين.

ولعلَّكَ تقول بعد هذا البيان إني فهمتُ حقيقة الحياة كأهل العرفان، ولكن ما معنى النزول على وجه المعقول وعلى نهج يُطَمِّئُ قلوبَ الطالبين. فاعلم أنه لفظ قد كثر استعماله في القرآن، وأشار الله الحميد في مقامات شتى من الفرقان أن كل حَبْرٍ وَسِبْرٍ ينزل من السماء، وما من شيء إلا ينال كماله من العُلَى بإذن حضرة الكبرياء، وتلتقط الأرض ما تنفض السماوات، ويصبغ القرائح بتصبيغ من فوق، فتجعل نفسٌ سعيدًا أو من الأشقياء والمبعدين. فالذين سعدوا أو شقوا يُشابه بعضهم بعضًا، فيزيدون تشابهًا يومًا فيومًا، حتى يُظنَّ أنهم شيء واحد، كذلك جرت سنة أحسن الخالقين. وإليه يشير عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^٥، فليتكلم من أعطى قوى المتفكرين.

وقد يزيد على هذا التشابه شيء آخر بإذن الله الذي هو أكبر وأقدر، وهو أنه قد يفسدُ أمةً نبيًّا غاية الفساد، ويفتحون على أنفسهم أبواب الارتداد، وتقتضي مصالح الله وحكمه أن لا يعذبهم ولا يهلكهم بل يدعو إلى الحق ويرحم وهو أرحم الرَّاحِمِينَ. فيفتح الله عينَ نبيٍّ متوفى كان أُرْسِلَ إلى تلك القوم، فيصرف نظره إليهم كأنه استيقظ من النوم، ويجد فيهم ظلما وفسادا كبيرًا، وغُلُوبًا

٥ البقرة: ١١٩

وضلالاً مُبِيراً، ويرى قلوبهم قد مُلئت ظلماً وزوراً وفتناً وشروراً، فيضجر قلبه، وتقلق مهجته، وتضطرّ روحه وقريحته، ويعشو أن ينزل ويُصلح قومه ويُفحمهم دليلاً، فلا يجد إليه سبيلاً، فيُدركه تدبير الحق ويجعله من الفائزين. ويخلق الله مثيلاً له يشابه قلبه قلبه، وجوهره جوهره، ويُنزل إرادات الممثل به على الممثل، فيفرح الممثل به بتيسر هذا السبيل، ويحسب نفسه من النازلين، ويتيقن بتيقن تام قطعي أنه نزل بقومه، وفاز برومه، فلا يبقى له همُّ بعده ويكون من المستبشرين.

فهذا هو سرُّ نزول عيسى الذي هم فيه يختلفون. وختم الله على قلوبهم فلا يعرفون الأسرار ولا يسألون. ومن تجرد عن وسخ التعصبات وصُبحَ بأنوار التحقيقات، فلا يبقى له شك في هذه النكات، ولا يكون من المرتابين. تلك قوم قد خلوا وذهبوا ورحلوا، فلا يرجعون إلى الدنيا ولا يذوقون موتين إلا موتهم الأولي، وتجد السنة والكتاب شاهدين على هذا البيان، ولكن بشرط التحقيق والإمعان وإمحاض النظر كالمنصفين.

وقد جاء في بعض الآثار من نبي الله المختار أنه قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي". أخرج أبو داود الذي كان من أئمة المحدثين. فقوله "مني" و "يواطئ اسمه اسمي" إشارة لطيفة إلى بياننا المذكور، ففكر كطالب النور، إن كنت تريد

أن تنكشف عليك حقيقة السر المستور، فلا ترمّ غاضاً البصر كالظالمين.

واعلم أن المراد من مواطأة الاسمين مواطأة روحانية لا جسمانية فانية، فإن لكل رجل اسم في حضرة الكبرياء، ولا يموت حتى ينكشف سرّ اسمه سعيداً كان أو من الأشقياء والضالين. وقد يتفق توارُدُ أسماء الظاهر كما في "أحمد" و"أحمد"، ولكن الأمر الذي وجدنا أحقّ وأنشد، فهو أن الاتحاد اتحاد روحاني في حقيقة الاسمين، كما لا يخفى على عارفٍ ذي العينين. وقد كان من هذا القبيل ما أُلهمتُ من الرب الجليل وكتبته في كتابي "البراهين"، وهو أن ربي كلّمني وخاطبني وقال: "يَا أَحْمَدُ يَتِمُّ اسْمُكَ، وَلَا يَتِمُّ اسْمِي." فهذا هو الاسم الذي يُعطى للروحانيين، وإليه إشارة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^{٣٢}.. أي علّمه حقائق الأشياء كلها، وجعله عالماً مجملاً مثيل العالمين.

وأما توارُد اسم الأبوين كما جاء في حديث نبيّ الثقلين، فاعلم أنه إشارة لطيفة إلى تطابق السرّين من خاتم النبيين. فإن أبا نبينا ﷺ كان مستعداً للأنوار فما اتفق حتى مضى من هذه الدار، وكان نورُ نبينا مواجاً في فطرته، ولكن ما ظهر في صورته، والله أعلم بسرّ حقيقته، وقد مضى كالمستورين. وكذلك تشابه أبو المهدي أب

الرسول المقبول، ففكّر كذوي العقول، ولا تمش معرضاً كالمستعجلين.

وأظن أن بعض الأئمة من أهل بيت النبوة، قد أُلهم من حضرة العزة، أن الإمام محمداً قد اختفى في الغار، وسوف يخرج في آخر الزمان لقتل الكفار، وإعلاء كلمة الملة والدين. فهذا الخيال يُشابه خيال صعود المسيح إلى السماء ونزوله عند تموج الفتن الصمّاء. والسرّ الذي يكشف الحقيقة ويبين الطريقة، هو أن هذه الكلمات ومثلها قد جرت على ألسنة الملهمين بطريق الاستعارات، فهي مملوّة من لطائف الإشارات، فكأنّ القبر الذي هو بيت الأختيار بعد النقل من هذا الدار، عبّر منه بالغار وعبّر خروج المثل المتحد طبعاً وجوهراً بخروج الإمام من المغارة، وهذا كله على سبيل الاستعارة. وهذه المحاورات شائعة متعارفة في كلام رب العالمين، ولا يخفى على العارفين. ألا تعرف كيف أتّب الله يهود زمان خاتم النبيين، وخاطبهم وقال بقول صريح مبين: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.... وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ

الْمَنَ وَالسَّلْوَى كُلُّوَا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥١﴾

هذا ما جاء في القرآن وتقرأونه في كتاب الله الفرقان، مع أن ظاهر صورة هذا البيان يُخالف أصل الواقعة، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان. فإن الله ما فَرَقَ بيهودِ زمانِ نبينا بجرًّا من البحار، وما أغرق آل فرعون أمام أعين تلك الأشرار، وما كانوا موجودين عند تلك الأخطار، وما اتخذوا العجل وما كانوا في ذلك الوقت حاضرين، وما قالوا يا موسى لن نؤمن حتى نرى الله جهرة بل ما كان لهم في زمان موسى أثرًا* وتذكرة، وكانوا معدومين. فكيف أخذتهم الصاعقة، وكيف بُعثوا من بعد الموت وفارقوا الحِمَام؟ وكيف ظلل الله عليهم الغمام؟ وكيف أكلوا المن والسلوى، ونجّاهم الله من البلوى، وما كانوا موجودين، بل وُلِدُوا بعد قرون متطاوله وأزمنة بعيدة مبعده، ولا تزر وازرة وزر أخرى، والله لا يأخذ رجلا مكان رجل وهو أعدل العادلين. فالسرّ فيه أن الله أقامهم مقام آبائهم لمناسبة كانت في آرائهم، وسمّاهم بتسمية أسلافهم وجعلهم وُراثاء أوصافهم، وكذلك استمرت سنة رب العالمين.

وإن كنت تزعم كالجهلة أن المراد من نزول عيسى نزولُ عيسى عليه السلام في الحقيقة فيعسرُ عليك الأمر وتخطئُ خطأً كبيراً في الطريقة، فإن توفّي عيسى ثابت بنص القرآن، ومعنى التوفّي قد انكشف من

○ البقرة: ٥١-٥٨

* سهو الناسخ، والصحيح: "أثر". (الناشر)

تفسير نبي الإنس ونبي الجان، ولا مجال للتأويل في هذا البيان، فالنزول الذي ما فسّره خاتم النبيين بمعنى يفيد القطع واليقين بل جاء إطلاقه على معانٍ مختلفة في القرآن وفي آثار فخر المرسلين، كيف يعارض لفظَ التوفّي الذي قد حصّص معناه وظهر بقول النبي وابن العباس أنه الإمامة وليس ما سواه؟ وما بقي في معناه شك ولا ريب للمؤمنين. وهل يستوي المتشابهات والبيّنات والمحكمات؟ كلا.. لا تستوي أبداً، ولا يتبع المتشابهات إلا الذي في قلبه مرض وليس من المطهّرين. فالتوفّي لفظ محكم قد صرح معناه وظهر أنه الإمامة لا سواه، والنزول لفظ متشابه ما توجه إلى تفسيره خاتم الأنبياء، بل استعمله في المسافرين.

ومع ذلك إن كنتَ يصعب عليك ذكرُ مجدد آخر الزمان باسم عيسى في أحاديث نبي الإنس ونبي الجان ويغلب عليك الوهم عند تعميم المعنى، فاعلم أن اسم عيسى جاء في بعض الآثار بمعانٍ وسيعة عند العلماء الكبار، وكفاك حديث ذكره البخاري في صحيحه مع تشريحه من العلامة الزمخشري وكمال تصريحه، وهو أن كل بني آدم يمسّه الشيطان يوم ولدته أمّه إلا مريم وابنها عيسى. وهذا يُخالف نصَّ القرآن: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[❖]، وآيات أُخرى، فقال الزمخشري: إن المراد من عيسى وأمّه كلُّ رجلٍ تقىَّ

كان على صفتيهما وكان من المتقين المتورعين. فانظر كيف سمى كلّ تقي عيسى، ثم انظر إلى إعراض المنكرين.

وإن قلتَ أنّ الشهادة واحدة ولا بدّ أن تزيد عليه شاهداً أو شاهدةً، فاسمعَ وما أحال أن تكون من السامعين. اقرأ كتاب "التيسير بشرح الجامع الصغير" للشيخ الإمام العامل والمحدث الفقيه الكامل عبد الرؤوف المناوي رحمه الله تعالى وغفر له المساوي وجعله من المرحومين. إنه ذكر هذا الحديث في الكتاب المذكور وقال: ما جاء في الحديث المزبور من ذكر عيسى وأمه "فالمراد: هما ومن في معناهما". فانظر بإمعان العينين كيف صرح بتعميم هذين الاسمين، فما لك لا تقبل قول المحققين.

وقد سمعتَ أن الإمام مالكاً وابن قيم وابن تيمية والإمام البخاري وكثيراً من أكابر الأئمة وفضلاء الأمة، كانوا مُقرّين بموت عيسى ومع ذلك كانوا يؤمنون بنزول عيسى الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ، وما أنكر أحدٌ هذين الأمرين وما تكلم، وكانوا يُفوضون التفاصيل إلى الله ربّ العالمين، وما كانوا في هذا مجادلين. ثم خلف من بعدهم خلفٌ وسوادٌ أقلّفٌ وفتحٌ أعوجٌ وأجوفٌ، يجادلون بغير علم ويفرّقون، ولا يركنون إلى سلّم ويكفرون عباد الله المؤمنين.

فحاصل الكلام في هذا المقام أن الله كان يعلم بعلمه القديم أن في آخر الزمان يُعادي قوم النصارى صراط الدين القويم، ويصدّون عن سبيل الرب الكريم، ويخرجون بإفك مبین. ومع ذلك كان يعلم أن في هذا الزمان يترك المسلمون نفائس تعليم الفرقان، ويتبعون

زخارف بدعات ما ثبتت من الفرقان، وينبذون أموراً تُعين الدين وتُخبر حلل المؤمنين. وتسقطون* في هوة محدثات الأمور وأنواع الأهواء والشور، ولا يبقى لهم صدق ولا ديانة ولا دين، فقدر فضلاً ورحمة أن يرسل في هذا الزمان رجلاً يُصلح نوعي أهل الطغيان، ويتم حجة الله على المبطلين. فاقضى تدبيره الحق أن يجعل المرسلَ سَمِيَّ عيسى لإصلاح المنتصرين، ويجعله سَمِيَّ أحمدَ ﷺ لتربية المسلمين، ويجعله حاذياً حذوهما وقافياً خطوهما، فسماه بالاسمين المذكورين، وسقاه من الراحين، وجعله دافعَ همِّ المؤمنين ورافعَ فتن المسيحيين. فهو عند الله عيسى من جهة، وأحمدُ من جهة، فاتركَ السبل الأحياف وتجنَّب الخلاف والاعتساف، واقتبل الحق ولا تكن كالضنين. والنبى ﷺ كما وصفه بصفات المسيح حتى سماه عيسى، كذلك وصفه بصفات ذاته الشريف حتى سماه أحمد ومشابهاً بالمصطفى، فاعلم أن هذين الاسمين قد حصلوا له باعتبار توجهه[□] التام إلى الفرقتين، فسماه أهل السماء عيسى باعتبار توجهه وتأمله كمؤاسي الأسارى إلى إصلاح فرق النصارى، وسمَّوه بأحمد باعتبار توجهه إلى أمة النبي توجَّهًا أشد وأزید، وتألمه من سوء اختلافهم وعيشهم أنكد. فاعلم أن عيسى الموعود أحمد، وأن أحمد الموعود عيسى، فلا تنبذ وراء ظهرك هذا السرَّ الأجلی. ألا تنظر إلى المفاسد الداخلية وما نالنا من الأقوام النصرانية؟ ألسنت ترى أن قومنا

* هذا سهو الناسخ والصحيح "يسقطون". (الناشر)

□ هذا سهو الناسخ والصحيح "توجَّهه". (الناشر)

قد أفسدوا طرق الصلاح والدين، واتبعوا أكثرهم سبل الشياطين، حتى صار علمهم كمنار الحُباب، وحبهم كسراب السُّباسب، وصار تطبُّع الشرِّ طباعاً، والتكلفُ له هوَى طباعاً، وأكبَّوا على الدنيا متشاجرين؟

يأبر بعضهم بعضاً كالعقارب ولو كان المظلوم من الأقارب، وما بقي فيهم صدق الحديث وإحاض المصافات، وبدلوا الحسنات بالسيئات. اشتغلوا في تطبُّب مثالب الإخوان ونسوا إصلاح ذات البين وحقوق أهل الإيمان، وصالوا على الإخوة كصول أهل العدوان. أدحضوا المودّات وأزالوا خلوص النيات، وأشاعوا فيهم الفسق والعدوان، واتبعوا العثرات والبهتان. زالت نفحات المحبة كل الزوال، وهبّت رياح النفاق والجدال. ما بقي سعة الصدر وصفاء الجنان، ودخلت كدوراتُ في الإيمان، وتجاوزوا حدود التورع والتقاة، وتناسوا حقوق الإخوان والمؤمنين والمؤمنات. لا يتحامون العقوق ولا يؤدّون الحقوق، وأكثرهم لا يعلمون إلا الفسق والنهات، وتغيّر الزمان فلا ورع ولا تقوى ولا صوم ولا صلاة. قدّموا الدنيا على الآخرة، وقدّموا شهوات النفس على حضرة العزة، وأراهم لديانهم كالمصاب، ولا يباليون طرق الآخرة ولا يقصدون طريق الصواب. ذهب الوفاء، وفُقد الحياء، ولا يعلمون ما الاتقاء. أرى وجوهاً تلمع فيهم أسرة العدر، يجبّون الليلة الليلاء ويزقون على البدر. يقرأون القرآن، ويتركون الرحمان. لا يرى منهم جارهم إلا الجور، ولا شريكُ حدبهم إلا العور، يأكلون الضعفاء ويطلبون

الكُور. كُثر الكاذبون والنمامون، والواشون والمغتابون، والظالمون المعتالون، والزانون الفاجرون، والشاربون المذنبون، والخائنون الغدَّارون، والمائلون المرتشون. قست القلوب والسجايا، لا يخافون الله ولا يذكرون المنايا. يأكلون كما يأكل الأنعام، ولا يعلمون ما الإسلام. وغمرتهم شهوات الدنيا، فلها يتحركون ولها يسكنون، وفيها ينامون وفيها يستيقظون. وأهل الثراء منهم غريقون في النعم ويأكلون كالتَّعم، وأهل البلاء يكون لفقد النعيم أو من ضغطة الغريم، فنشكو إلى الله الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله النصير المعين.

وأما مفاصد النصارى فلا تُعدّ ولا تُحصى، وقد ذكرنا شطرا منها في أوراقنا الأولى. فلما رأى الله سبحانه أن المفاصد فارت من الخارج والداخل في هذا الزمان، اقتضت حكمته ورحمته أن يُصلح هذه المفاصد برجل له قدمان: قدمٌ على قدم عيسى، وقدم على قدم أحمد المصطفى. وكان هذا الرجل فانيا في القدمين حتى سُمي بالاسمين. فخذوا هذه المعرفة الدقيقة، ولا تخالفوا الطريقة، ولا تكونوا أول المنكرين. وإن هذا هو الحق وربّ الكعبة، وباطل ما يزعم أهل التشيع والسنة. فلا تعجلوا عليّ، واطلبوا الهدى من حضرة العزة، وأتوني طالبين. فإن تُعرضوا ولا تقبلوا، فتعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين.

وهذا هو الحق الذي كشف الله عليّ بفضله العظيم وفيضه القديم. وقد تُوفّي عيسى، والله يعلم أنه المتوفّي. وتُوفّي إمامكم محمد الذي ترقبونه، وقائمُ الوقت الذي تنتظرونه. وأُلمتُ من ربي أني أنا المسيح الموعود وأحمد المسعود. أتعجبون ولا تفكّرون في سنن الله، وتتكرون ولا تخافون؟ وحصحص الحق وأنتم تعرضون، وجاء الوقت وأنتم تبعدون. ومن سنن الله القديم المستمرة الموجودة إلى هذا الزمان التي لم تنكرها* أحد من الجهلاء وذوي العرفان، أنه قد يذكر شيئاً أو رجلاً في أنبائه المستقبلية، ويريد منه شيئاً آخر أو رجلاً آخر في الإرادة الأزلية. وربما نرى في منام أن رجلاً جاء من مقام، فلا يجيء من رأينا بل يجيء من ضاهاه في بعض الصفات أو شابهه في الحسنات أو السيئات. وأقص عليك قصةً عجيبةً وحكايةً غريبةً: إن لي كان ابناً صغيراً وكان اسمه بشيراً، فتوفاه الله في أيام الرضاع، والله خير وأبقى للذين آثروا سبل التقوى والارتياح. فأُلمتُ من ربي: إنا نردّه إليك تفضلاً عليك. وكذلك رأت أمه في رؤياها أن البشير قد جاء، وقال إني أعانقك أشد المعانقة ولا أفارق بالسرعة. فأعطاني الله بعده ابناً آخر وهو خير المعطين. فعلمتُ أنه هو البشير وقد صدق الخبر، فسمّيته باسمه، وأرى حُلية الأول في جسمه. فثبتت عادة الله برأي العين، أنه قد يجعل شريك اسمٍ

* هذا سهو الناسخ والصحيح "ينكرها". (الناشر)

رجلين. وأما جعلُ البعضِ سَمِيَّ بعضٍ فهي أسرار لتكميل غرض لا يعلمها إلا مُهجة العارفين.

ولي صديقٌ أحبُّ الأصدقاء وأصدق الأحباء، الفاضل العلامة والنحرير الفهامة، عالمٌ رموز الكتاب المبين، عارفٌ علوم الحكيم والدِّين، واسمه كصفاته المولوي الحكيم نور الدين. فاتفق في هذه الأيام من قضاء الله الحكيم العلام أن ابنه الصغير الأحد، الذي كان اسمه محمد أحمد، مات بمرض الحصبة، فصبر ووافق ربَّه ذا الحكمة والقدرة والرحمة، فرآه رجل في ليلة وفاته بعد مماته كأنه يقول لا تحزنوا لهذه الفرقة، فإني أذهب لبعض الضرورة، وسأرجع إليكم بقدوم السرعة. وهذا يدل على أنه سيعطى ابنا آخر، فيضاهي الثاني الغابر. والله قادر على كل شيء، ولكن أكثر الناس لا يعلمون شؤون أحسن الخالقين.

وكذلك في هذا الباب قصص كثيرة وشهادات كبيرة وقد تركناها خوفا من طول الكلام، وكثيرة منها مكتوبة في كتب تعبير المنام، فارجع إليها إن كنتَ من الشاكِّين. وكيف تشكَّ وإن الأخبار تواترت في هذا الباب؟ ولعلك تكون أيضاً من المشاهدين لهذا العجَاب. فما ظنك.. أتعتقد أن رجلاً متوفى إذا رآه أحد في المنام، أو أخبر عنه في الإلهام، وقال المتوفى إني سأرجع إلى الدنيا والأقي القربى، فهل هو راجع على وجه الحقيقة.. أو لهذا القول تأويل عند أهل الطريقة؟ فإن كنتم مؤولين في هذا المقام، فما لكم لا

تؤولون في أنباء تُشابهها بالوجه التام؟ أتفرقون بين سُنن الله يا معشر الغافلين؟ فتدبّر وما أحال أن تدبّر إلا أن يشاء ربي هادي الضالين.

وقد عرفت أن علامات ظهور المسيح الذي هو المهدي قد ظهرت، والفتن كثرت وعمّت، والمفاسد غلبت وهاجت وماجت، ويسبّون خير البشر في السكك والأسواق، وماتت الملة والتفت الساق بالساق، وجاء وقت الفراق، فارحموا الدين المهان، فإنه يرحل الآن. ونشدتكم الله.. ألا ترون هذه المفاسد بالعين؟ ألا يُترك عينُ زلال الإيمان للعين؟ اشهدوا لله اشهدوا.. أحقُّ هذا أو من المين؟ وما زاولنا أشدَّ من كيد النصارى، وإنا في أيديهم كالأسارى. إذا أرادوا التلبس، فيُحجلون إبليس. ظهر البأس، وححصص اليأس. وقست قلوب الناس، واتبعوا وساوس الوسواس. وبعُدوا عن التقوى، وخوف الله الأعلى، بل عادوا هذا النمط، وضاهوا السقط. وقلتُ قليلاً مما رأيتُ وما استقصيت. ووالله إن المصائب بلغت منتهاها، وما بقي من الملة إلا رسمها ودعواها، وأحاطت الظلمات وعدم سناها، ووطئ زروعنا الأوابد، فما بقي ماؤها ومرعاها، وكاد الناس أن يهلكوا من سيل الفتن وطغواها، فأعطيتُ سفينةً من ربي، وبسم الله مجريها ومرساها. وتفصيل ذلك أن الله وجد في هذا الزمان ضلالات النصارى مع أنواع الطغيان، ورأى أنهم ضلّوا وأضلّوا خلقاً كثيراً، وعلّوا علواً كبيراً، وأكثروا الفساد، وأشاعوا الارتداد، وصالوا على الشريعة الغرّاء، وفتحوا أبواب المعاصي والأهواء، ففارت غيرة الله ذي الكبرياء عند هذه الفتنة الصمّاء. ومع

ذلك كانت فتنة داخلية في المسلمين، ومزَّقوا باختلافات دين سيد المرسلين، وصال بعضهم على البعض كالمفسدين. فاختارني الله لرفع اختلافهم، وجعلني حَكَمًا قاضيًا لإنصافهم. فأنا الإمام الآتي على قدم المصطفى للمؤمنين، وأنا المسيح متمم الحجّة على النصارى والمنتصرين.

وجمع الله في وجودي الاسمين كما اجتمعت في زمني نار الفتنتين، وهذا هو الحق وبالذي خلق الكوئين. فجئت لأشيع أنوار بركاته، واختارني ربي لميقاته. وما كنتُ أن أردّ فضل الله الكريم، وما كان لي أن أخالف مرضاة الرب الرحيم. وما أنا إلا كالميت في يدي الغسال، وأقلبُ كلَّ طرفة بتقليب الفعّال، وجئتُ عند كثرة بدعات المسلمين ومفاسد المسيحيين. وإن كنتُ في شك فانظر بامعان النظر كالحقق الأريب، في فتن بدعات قومنا وجهلات عبدة الصليب. أما ترى فتنًا متوالية؟ أسمعتَ نظيرها في قرون خالية؟ فما لك لا تفكّر كالعاقلين، ولا تنظر كالمنصفين؟ وإن الله يبعث على كل رأس مائة مجدّد الدين، وكذلك جرت سنة الله المعين. أتظن أنه ما أرسل عند هذا الطوفان رجالا من ذوي العرفان، ولا تخاف الله آخذَ المجرمين؟

قد انقضت على رأس المائة إحدى عشر سنة فما نظرت، وانكسفت الشمس والقمر فما فكرت، وظهرت الآيات فما تذكّرت، وتبينت الأمارات فما وقّرت، أأنت تنام أو كنتَ من المعرضين؟ أتقول لِمَ ما فعل الفعّال كما كنتُ أخال؟ وكذلك زعم

الذين خلوا من قبلك من اليهود، وما آمنوا بخير الرسل وحبيب رب * المعبود، وقالوا: يخرج منا خاتم الأنبياء الموعود، وكذلك كان وعد ربنا بداود، وقالوا: إن عيسى لا يأتي إلا بعد نزول إيليا من السماء. فكفروا بمحمد خير الرسل وعيسى الذي كان من الأنبياء، وختم الله على قلوبهم فما فهموا الحقيقة، وما كانوا متدبرين. وقست قلوبهم ونحتوا الدقارير، حتى صاروا قردة وخنازير، وكذلك يكون مآل تكذيب الصادقين. وإنهم كانوا علماء أحزاهم وأئمة كلابهم، وكانوا فقهاء ومحدثين وفضلاء ومفسرين، وكان أكثرهم من الراهبين. فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، وما نفعهم علمهم ولا نُخِرُوا بِهِمْ، وكانوا قوما فاسقين.

فلا تُفِرطوا بجنب الله وليكن فيكم رفق وحلم، ولا تقفوا ما ليس لكم به علم، ولا تغلوا ولا تعتدوا، ولا تعثوا في الأرض ولا تفسدوا، واحشوا الله إن كنتم متقين. قد سمعتم سنة تسمية البعض بأسماء البعض، فلا تتركوا السنن الثابتة من الله القدير، لأوهام ليس لها عندكم من برهان ونظير، وإن كنتم تُصرون عليها ولا تُعرضون عنها فأنبتونا بنظائر على تلك السنة إن كنتم صادقين. ولن تقدروا أن تأتوا بنظير، فلا تبرزوا لحرب الرب القدير، ولا تردوا النعمة بعد نزولها، ولا تدعوا الفضل بعد حلولها، ولا تكونوا أول المعرضين.

* هذا سهو الناسخ والصحيح "الرب". (الناشر)

وإن كنتم في شك من أمري، ولا تنظرون نور قمري، وتزعمون أن المهدي الموعود والإمام المسعود يخرج من بني فاطمة لإطفاء فتن حاطمة، ولا يكون من قوم آخرين، فاعلموا أن هذا وهم لا أصل له، وسهم لا نصل له، وقد اختلف القوم فيه، كما لا يخفى على عارفيه، وعلى كمل المحدثين. وجاء في بعض الروايات أن المهدي صاحب الآيات من "وُلِدَ الْعَبَّاسُ"، وجاء في البعض "أَنَّهُ مَنَّا" أي من خير الناس، وفي البعض أنه من "وُلِدَ الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ"، فالاختلاف لا يخفى على ذوي العيين. وقد قال رسول الله ﷺ إن سلمان منا أهل البيت، مع أنه ما كان من أهل البيت، بل كان من الفارسيين.

ثم اعلم أن أمر النسب والأقوام أمر لا يعلم حقيقته إلا علمُ العلام، والرؤيا التي كتبتها في ذكر الزهراء تدل على كمال تعلقي، والله أعلم بحقيقة الأشياء. وفي كتاب "التيسير" عن أبي هريرة: مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ فَارَسٍ فَهُوَ قَرَشِيٌّ. وأنا من الفارس كما أنبأني ربي، فتفكر في هذا ولا تعجل كالمتعصبين.

ثم الأصول المحكم والأصل الأعظم أن يُنظَر إلى العلامات ويُقدَّم البيئات على الظنيات، فإن كنت ترجع إلى هذه الأصول فعليك أن تتدبّر بالنهج المعقول ليهديك الله إلى حق مبين، وهو أن النصوص القرآنية والحديثية قد اتفقت على أن الله ذا القدرة قسم زمان هذه الأمة بحكمة منه ورحمة على ثلاثة أزمنة، وسلّمه العلماء كلهم من غير مربية. فالزمان الأوّل هو زمانٌ أوّل من القرون الثلاثة من بدو زمان خير البرية، والزمان الثاني زمانٌ حدوث البدعات إلى وقت

كثرة شيوع المحدثات، والزمان الثالث هو الذي شابهَ زمانَ خير البرية، ورجعَ إلى منهج النبوة، وتطهَّرَ من بدعات رديَّة وروايات فاسدة، وضاهى زمانَ خاتم النبيين، وسماه "آخرَ الزمان" نبيُّ الثقلين، لأنه آخِر من الزمانيْن. وحمد الله تعالى العباد "الآخرين" كما حمد "الأولين"، وقال: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^٥، ولكلِّ ثلثةٍ إمام، وليس فيه كلام. فهذه إشارة إلى خاتم الأئمة، وهو المهدي الموعود اللاحق بالصحابة، كما قال ﷺ: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾*، وسئل رسول الله ﷺ عن حقيقة "الآخرين" فوضع يده على كتف سلمان كالمولين المحبين، وقال: "لو كان الإيمان مُعلَّقًا بالثريا" (أي ذاهبًا من الدنيا) "لناله رجل من فارس". وهذه إشارة لطيفة من خير البرية إلى آخر الأئمة، وإشارة إلى أن الإمام الذي يخرج في آخر الزمان ويردُّ إلى الأرض أنوار الإيمان يكون من أبناء فارس بحكم الله الرحمن. فتفكَّر وتدبَّر، وهذا حديث لا يبلغ مقامه حديث آخر، وقد ذكره البخاري في الصحيح بكمال التصريح. وإذا ثبت أن الإمام الآتي في آخر الزمان هو الفارسي لا غيره من نوع الإنسان، فما بقى لرجل آخر موضع قدم، وهذا من الله مليك وجودٍ وعدم، فلا تحاربوا الله ولا تجادلوا كالمعتدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٥ الواقعة: ٤٠-٤١

* الجمعة: ٤

القصيدة

في مدح أبي بكر الصديق وعمر الفاروق

وغيرهما من الصحابة

مرضى الله عنهم أجمعين

رُؤَيْدَكَ لَا تَهْجُ الصَّحَابَةَ وَاحْذَرِ
وَلَا تَتَخَيَّرْ سَبِيلَ غِيٍّ وَشَقْوَةٍ
أُولَئِكَ أَهْلُ اللَّهِ فَاحْشَ فِنَاءَهُمْ
أُولَئِكَ حَزَبُ اللَّهِ حُفَاظُ دِينِهِ
تَصَدَّقُوا لِلدِّينِ اللَّهُ صَدَقًا وَطَاعَةً
وَطَهَّرْ وَادِي الْعَشِيقِ بَحْرَ قُلُوبِهِمْ
وَجَاءُوا نَبِيَّ اللَّهِ صَدَقًا فَنَوَّرُوا
بِأَجْنَحَةِ الْأَشْوَاقِ طَارُوا إِطَاعَةً
وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي الْبَسَاتِينِ نَرْتَعُ
وَتَرَكُوا هَوَى الْأَوْطَانِ لِلَّهِ خَالِصًا
عَلَى الضَّعْفِ صَوَّالُونَ مِنْ قُوَّةِ الْهُدَى
وَلَا تَقْفُ كُلَّ مَزُورٍ وَتَبَصَّرِ
وَلَا تَلْعَنَنَّ قَوْمًا أَنَارُوا كَثِيرَ
وَلَا تَقْدَحَنَّ فِي عِرْضِهِمْ بِتَهْوُرِ
وَإِيذَائِهِمْ إِيْدَاءُ مَوْلَى مُؤَثَّرِ
لِكُلِّ عَذَابٍ مُحْرِقٍ أَوْ مَدْمَرِ
فَمَا الزَّبْدُ وَالْغُثَاءُ بَعْدَ التَّطَهُّرِ
وَلَمْ يَبْقَ أَثَرٌ مِنْ ظَلَامٍ مُكَدَّرِ
وَصَارُوا جَوَارِحَ لِلنَّبِيِّ الْمَوْقَرِ
وَهُمْ حَضَرُوا مِيدَانَ قَتْلِ كَمَحْشَرِ
وَجَاءُوا الرَّسُولَ كَعَاشِقٍ مَتَخَيَّرِ
عَلَى الْجَرَحِ سَلَّالُونَ سَيْفَ التَّشْدُّرِ

أَتَلَعَنُ مَنْ هُوَ مِثْلُ بَدْرِ مَنْوَرٍ
 فَحَارِبٌ مَلِيكًا اجْتَبَاهُمْ كُمْشَرِي
 فَلَا تَبْكُ بَعْدَ ظَهْوَرِ قَدَرٍ مَقْدَرٍ
 وَمَا كَانَ رَبُّ الْكَائِنَاتِ كَمْهَتَرٍ
 وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِقَلْبٍ مَفَكَّرٍ
 مَاآثَرُهُ مَقْبُولَةٌ عِنْدَ هُوَجَرٍ
 وَمَهْمَا أَشَارَ الْمُصْطَفَى قَامَ كَالْجَرِي
 جَمِيعًا سِوَى الشَّيْءِ الْحَقِيرِ الْحَقَرِ
 عَلَى الْمَوْتِ أَقْبَلَ شَائِقًا غَيْرَ مُدْبِرِ
 وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ جَوْرًا فَعَبِيرِ
 وَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَعْبَرِ
 لَتَنْظُرَ أَوْصَافَ الْعَتِيقِ الْمُطَهَّرِ
 كَمِثْلِ أَبِي بَكْرٍ بِقَلْبٍ مَعْطَرِ
 وَلِلْبَحْرِ سُلْطَانٌ عَلَى كُلِّ جَعْفَرِ
 فَمَا أَنْتَ يَا مَسْكِينَ إِنْ كُنْتَ تَزْدَرِي
 لَهُ عَيْنٌ آيَاتٍ لِهَذَا التَّطَهَّرِ
 تَبَدَّى بَغَارٍ بِالرَّسُولِ الْمُؤَزَّرِ
 مَخْلَصٌ دِينَ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ مُهَجِرِ
 وَمِنْ مَحْنٍ كَانَتْ كَصَخْرِ مَكْسَرِ

أَتَكْفُرُ خُلَفَاءَ النَّبِيِّ تَجَاسِرًا
 وَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاءَتْكَ أَمْرُ خِلَافَةٍ
 فَبِإِذْنِهِ قَدْ وَقَعَ مَا كَانَ وَاقِعًا
 وَمَا اسْتَخْلَفَ اللَّهُ الْعَلِيمُ كِذَاهِلِ
 وَقُضِيَتْ أُمُورُ خِلَافَةٍ مَوْعُودَةٍ
 وَإِنِّي أَرَى الصَّدِيقَ كَالشَّمْسِ فِي الضُّحَى
 وَكَانَ لَذَاتِ الْمُصْطَفَى مِثْلَ ظِلِّهِ
 وَأَعْطَى لِنَصْرِ الدِّينِ أَمْوَالَ بَيْتِهِ
 وَلَمَّا دَعَاهُ نَبِيُّنَا لِرِفَاقَةٍ
 وَلَيْسَ مَحَلُّ الطَّعْنِ حَسَنُ صِفَاتِهِ
 أَبَادَ هَوَى الدُّنْيَا لِأَحْيَاءِ دِينِهِ
 عَلَيْكَ بَصُحْفِ اللَّهِ يَا طَالِبَ الْهُدَى
 وَمَا إِنْ أَرَى وَاللَّهِ فِي الصَّحْبِ كُلِّهِمْ
 تَخْيِيرَهُ الْأَصْحَابِ طَوْعًا لِفَضْلِهِ
 وَيُثْنِي عَلَى الصَّدِيقِ رَبِّ مُهَيْمِنٍ
 لَهُ بَاقِيَاتُ صَالِحَاتٍ كَشَارِقِ
 تَصَدَّى لِنَصْرِ الدِّينِ فِي وَقْتِ عَسْرِهِ
 مَكِينٌ أَمِينٌ زَاهِدٌ عِنْدَ رَبِّهِ
 وَمِنْ فِتْنٍ يُخْشَى عَلَى الدِّينِ شَرُّهَا

ولو كان هذا الرجل رجلاً منافقاً
 أتخسب صديقَ المهيمِنِ كافرًا
 وكان كقلب الأنبياءِ جنائهُ
 أرى نورَ وجهِ اللهِ في عاداته
 وإنَّ له في حضرةِ القدسِ درجةً
 وخدمائهُ مثلُ البذورِ منيرةً
 وجاء لتنضيرِ الرياضِ مبشِّرًا
 فمنَ للنبيِ المصطفىِ من معزِّرٍ
 لقولِ غريقٍ في الضلالةِ أكفَرٍ
 وهمَّتهُ صوالةُ كالغضنفرِ
 وجلواته كأنه قطعُ نَيرٍ
 فويلٌ لألسنةِ حدادٍ كخنجرِ
 وثمراته مثلِ الجنا المستكثِرِ
 فللهِ دَرٌّ منضَّرٍ ومبشِّرٍ*

* إنا بينا أن أبا بكر كان رجلاً عبقرياً وإنساناً إلهياً، جلى مطلع الإسلام بعد الظلام، وكان قصاره أنه من ترك الإسلام فباراه، ومن أنكر الحق فماراه، ومن دخل دار الإسلام فداراه. كابد في إشاعة الإسلام شدائد، وأعطى الخلق دُرراً فرائد. ساس الأعراب بالعزم المبارك، وهذب تلك الجمال في المسارح والسَمبارك واستقراء المسالك ورُغاء المعارك. ما استفتى بأساً، ورأى من كل طرف بأساً. انبرى لمباراة كل خصيم، وما استهوته الأفكار ككل جبان وسقيم. وثبت عند كل فساد وبلوى، أنه أرسخ من رضوى، وأهلك كل من تنبأ من كذب الدعوى، ونبد العلق لله الأعلى. وكان كلُّ اهتشاشه في إعلاء كلمة الإسلام واتباع خير الأنام. فدونك حافظُ دينك واتركُ طينتك. وإني ما قلت كمتبع الأهواء أو مقلد أمرٍ وجد من الآباء، بل حُببَ إلي مُدَّ سَعَتِ قدمي ونفثَ قلبي أن أتخذ التحقيق شريعةً والتعميق نُجعةً، فكنت أنقب عن كل خير، وأسأل عن كل حير. فوجدت الصديقَ صديقاً، وكشِفَ عليَّ هذا الأمرَ تحقيقاً. فإذا ألفتُهُ إمام الأئمة وسراج الدين والأمة، شددتُ يدي بَعْرزِهِ، وأويت إلى حِرزِهِ، واستنزلتُ رحمة ربي بحب الصالحين. فرحمي وآواني وأيدي ورباني وجعلني من المكرمين، وجعلني مجدِّد

هذه المائة والمسيح الموعود من الرحمة، وجعلني من المُكَلَّمين، وأذهب عني الحزنَ وأعطني ما لم يُعْطَ أحد من العالمين. وكل ذلك بالنبي الكريم الأميِّ وحُبِّ هؤلاء المقربين. اللهم فصلِّ وسلِّمْ على أفضل رسلِك وخاتم أنبيائك محمد خير الناس أجمعين.

ووالله إن أبا بكر كان صاحب النبي ﷺ في الحرمين وفي القبرين.. أعني قبر الغار الذي توارى فيه كالميت عند الاضطرار، والقبر الذي في المدينة ملتصقا بقبر خير البرية. فانظر مقام الصديق إن كنت من أهل التعميق. حمده الله وخلافته في القرآن، وأثنى عليه بأحسن البيان. ولا شك أنه مقبولُ الله ومستطاب، وهل يحتقر قدره إلا مُصاب؟ غابت شوائب الإسلام بخلافته، وكمل سعود المسلمين برأفته، وكاد أن ينفطر عمود الإسلام لو لا الصديق صديق خير الأنام. وجد الإسلام كالمهتر الضعيف، والمووف النحيف، فنهض لإعادة حيرته وسيره كالحاذقين، وأوغل في أثر المفقود كالمنهويين، حتى عاد الإسلام إلى رشاقة قدّه وأسالة خدّه، ونضرة جماله وحلاوة زلاله، وكان كل هذا من صدق هذا العبد الأمين. عَفَّرَ النفس وبدلَ الحالة، وما طلب الجعالة إلا ابتغاء مرضاة الرحمن، وما أظلم الملوآن عليه إلا في هذا الشأن. كان محيي الرُفاتِ، ودافع الآفات، وواقِي الغافات، وكلُّ لبِّ النصره جاء في حصته، وهذا من فضل الله ورحمته.

والآن نذكر قليلا من الشواهد، متوكِّلاً على الله الواحد، ليظهر عليك كيف أعدمَ فتناً مشتتةً المبوب، ومحنًا مشتتةً الألهوب، وكيف أعدمَ في الحرب أبناء الطعن والضرب، فبانت دخيلةُ أمره من أفعاله، وشهدت أعماله على سرِّ خصاله. فجزاه الله خير الجزاء، وحشره في أئمة الأتقياء، ورحمنا هؤلاء الأحياء، فتقبَّلْ مني يا ذا الآلاء والنعماء، وإنك أرحم الرحماء، وإنك خير الرَّاحمين.

فتنة الارتداد بعد وفاة النبي ﷺ خير الرسل وإمام العباد

لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب، إما القبيلة مستوعبة وإما بعض منها، ونجم النفاق، والمسلمون كالغنم في الليلة الممطرة، لقلّتهم وكثرة عدوهم وظلام الجو بفقد نبينهم. (الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون صفحة ٦٥)

وقال أيضا: ارتدت العرب عامة وخاصة، واجتمع على طليحة عوامٌ طيءٍ وأسد، وارتدت غطفان، وتوقفت هوازن فأمسكوا الصدقة، وارتد خواص من بني سليم، وكذا سائر الناس بكل مكان. (صفحة ٦٥)

وقال ابن الأثير في تاريخه: لما توفي رسول الله ﷺ ووصل خبره إلى مكة وعامله عليها عتاب بن أسيد، استخفى عتاب وارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون. (الجزء الأول صفحة ١٣٤)

وقال أيضا: ارتدت العرب إما عامة أو خاصة من كل قبيلة، وظهر النفاق واشترأت اليهود والنصرانية، وبقي المسلمون كالغنم في الليلة الممطرة، لفقدهم وقلّتهم وكثرة عدوهم، فقال الناس لأبي بكر: إن هؤلاء - يعنون جيش أسامة حند المسلمين - والعرب على ما ترى، فقد انتفضت بك، فلا ينبغي أن تُفرّق جماعة المسلمين عنك، فقال أبو بكر: والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبي ﷺ، ولا أردّ قضاءً قضى به رسول الله ﷺ. وقال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد النبي ﷺ مقامًا كِدْنَا أنْ نُهْلِكَ لو لا أن منَّ الله علينا بأبي بكر ﷺ، أجمعنا على أن نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون، وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين. (أيضا صفحة ١٤٢)

خروج مدعي النبوة

وثب الأسود باليمن، ووثب مسيلمة باليمامة، ثم وثب طليحة بن خويلد في بني أسد، يدعي كلهم النبوة. (ابن خلدون الجزء الثاني صفحة ٦٠)

وتنبأت سجاحُ بنت الحارث من بني عقفان، واتبعها الهذيل بن عمران في بني تغلب، وعقبة بن هلال في النمر، والسليل بن قيس في شيبان، وزباد بن بلال، وأقبلت من الجزيرة في هذه الجموع قاصدة المدينة لتغزو أبا بكر صلى الله عليه وسلم. (صفحة ٦٥)

استخلافه صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه نائبا عنه للإمامة في الصلاة

قال ابن خلدون: ثم ثقل به الوجعُ وأغميَ عليه، فاجتمع عليه نساؤه وأهل بيته والعباس وعليّ، ثم حضر وقت الصلاة فقال: مُرُوا أبا بكر فليُصلِّ بالناس. (الجزء الثاني صفحة ٦٢)

مكان أبي بكر رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم

وقال ابن خلدون: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أوصى بثلاث: سُدُّوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر، فإني لا أعلم امرءاً أفضل يداً عندي في الصحبة من أبي بكر. (الجزء الثاني صفحة ٦٢)

شدة حبّ أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم

وذكر ابن خلدون: وأقبل أبو بكر ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكشف عن وجهه وقبله، وقال: بأبي أنت وأمي، قد ذُقت الموتة التي كتب الله عليك، ولن يصيبك بعدها موة أبداً. (أيضا صفحة ٦٣)

وكان من لطائف ممن الله عليه واختصاصه بكمال القرب من النبي صلى الله عليه وسلم كما نص به ابن خلدون أنه صلى الله عليه وسلم حُمِلَ على السرير الذي حُمِلَ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجُعِلَ قبره مثلَ قبر النبي مسطّحاً، وألصقوا لحدّه بلحد النبي صلى الله عليه وسلم، وجُعِلَ رأسه عند كتفي النبي صلى الله عليه وسلم، وكان آخر ما تكلم به: تَوَفَّيْ مسلماً وألحقني بالصالحين. (صفحة

ولنكتب هنا كتابا كتبه الصديق إلى قبائل العرب المرتدة
ليزيد المطلعون عليه إيماناً وبصيرة بصلابة الصديق في ترويح شعائر الله والذب
عن جميع ما سنّه رسول الله ﷺ:

"بسم الله الرحمن الرحيم

من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامّة وخاصّة، أقام
على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى
الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، نقرّ بما جاء به، ونُكفر من أبي
ونجاهده.

أمّا بعد، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً
إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين. فهدى
الله بالحق من أحاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار إلى
الإسلام طوعاً وكرهاً. ثم توفي رسول الله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ونصح لأُمَّته
وقضى الذي كان عليه. وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب
الذي أنزل فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾¹، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ
قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾²، وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا
رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ
يَقْلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾³، فمن كان إنما
يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له، فإن
الله له بالمرصاد. حيٌّ قيّومٌ، لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظٌ لأمره،
منتقمٌ من عدوّه يجزيه.

وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصييكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدِين الله، فإن كل من لم يهده الله ضالاً، وكل من لم يعافه لمبتلى، وكل من لم يُعَينه مخذول. فمن هداه الله كان مهتدياً، ومن أضله كان ضالاً، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾⁴، ولم يُقبَل منه في الدنيا عمل حتى يقرّ به، ولم يُقبَل منه في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع مَنْ رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به اغتراراً بالله وجهالةً بأمره وإجابةً للشيطان. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾⁵، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾⁶. وإني بعثتُ إليكم فلاناً من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يُقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحاً قبلَ منه وأعاناه عليه، ومن أبى أمرتُ أن يُقاتله على ذلك، ثم لا يُبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتل، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام. فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يُعجز الله. وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم. والداعية الأذنان، وإذا أذن المسلمون فأذّنوا، كُفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلهم، وإذا أذّنوا أسألهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلهم وإن أقرّوا قبلَ منهم.

=====

● (الزمر: ٣١) ● (الأنبياء: ٣٥) ● (آل عمران: ١٤٥) ● (الكهف: ١٨١) ● (الكهف: ٥١) ● (فاطر: ٧)

وشابَههُ الفاروق في كل حِطَّةٍ
 سعى سَعْيَ إِخْلَاصٍ فَظَهَرَتْ عِزَّةٌ
 وَصَبَّغَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ قَتْلِ كَفْرَةٍ
 وَصَارَ ذُكَاءً كَوَكْبٌ فِي وَقْتِهِ
 وَبَارَى مَلُوكَ الْكُفْرِ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ
 أَرَى آيَةَ عِظْمَى بِأَيْدٍ قَوِيَّةٍ
 إِمَامُ أَنْاسٍ فِي بِحَادٍ مَرَقَعٍ
 وَأُعْطِيَ أَنْوَارًا فَصَارَ مُحَدَّثًا
 مَآثِرُهُ مَمْلُوءَةٌ فِي دِفَاتِرِ
 فَوَاهِئًا لَهُ وَلِسَعِيهِ وَلِجَهْدِهِ
 وَفِي وَقْتِهِ أَفْرَاسُ خَيْلِ مُحَمَّدٍ
 وَكَسْرُ كَسْرَى عَسْكَرِ الدِّينِ شَوْكَةً
 وَكَانَ بِشَوْكَتِهِ سَلِيمَانَ وَقْتَهُ
 رَأَيْتُ جَلَالَتهُ شَأْنَهُ فَذَكَرْتُهُ
 وَمَا إِنْ أَحَافَ الْخَلْقَ عِنْدَ نِصَاحَةٍ
 فَلَمَّا أَجَازَتْ حُلُلُ قَوْلِي لُدُونَةً
 فَأَفْتَوْا جَمِيعًا أَنَّ كُفْرَكَ ثَابِتٌ
 لَقَدْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ أَوْهَامَهُمْ لَهُمْ
 وَقَدْ مَسَخَ الْقَهَّارُ صُورَ قُلُوبِهِمْ

وَسَاسَ الْبِرَايَا كَالْمَلِيكِ الْمُدَبِّرِ
 وَشَأْنٌ عَظِيمٌ لِلْخِلَافَةِ فَانظُرِ
 فَيَا عَجَبًا مِنْ عِزْمِهِ الْمُتَشَمِّرِ
 فَوَاهِئًا لَهُ وَلِوَقْتِهِ الْمُتَطَهِّرِ
 وَأَهْلَكَ كُلَّ مَبَارِزٍ مُتَكَبِّرِ
 فَوَاهِئًا لِهَذَا الْعَبْقَرِيِّ الْمَظْفَرِ
 مَلِيكَ دِيَارٍ فِي كِسَاءٍ مَغْبَرِ
 وَكَلَّمَهُ الرَّحْمَنُ كَالْمُتَخَيِّرِ
 فَضَائِلُهُ أَجْلَى كَبَدْرِ أَنْوَرِ
 وَكَانَ لِدَيْنِ مُحَمَّدٍ خَيْرَ مَغْفَرِ
 أَثَرْنَ غِبَارًا فِي بِلَادِ التَّنَصِّرِ
 فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ صُورِ التَّصَوِّرِ
 وَجُعِلَتْ لَهُ جِنَّ الْعِدَا كَالْمُسَخَّرِ
 وَمَا أَمْدَحُ الْمَخْلُوقَ إِلَّا لِجَوْهَرِ
 وَإِنْ الْمَرَارَةَ يَلْزَمَنَّ قَوْلَ مُنْذِرِ
 وَغَارَتْ دِقَائِقُهُ كَبِيرٍ مَقْعَرِ
 وَقَتْلَكَ عَمَلٌ صَالِحٌ لِلْمُكْفَرِ
 فَتَرَكُوا الصَّلَاحَ لِأَجْلِ غِيٍّ مُدْخِرِ
 وَفَقَدُوا مِنَ الْأَهْوَاءِ قَلْبَ التَّدْبِيرِ

فذرهم يسبوا كل برٍّ موقرٍ
وقد جاءك الأخبارُ من كلٍ مخبرٍ
وما إن أرى فيهم خصيمًا ينبري
يخافون أسيافي ورحمي وخنجري
غلاظُ شدادٍ لو يطيقون عسكري
وإني أراهم كالدِّمالِ المعفَّرِ
كأنَّا دفنَّاهم بقبرٍ مقعَّرِ
نقلنا وضيئتنا إلى بيتِ أقدرِ
وقد خوَّفوا والله كهفي ومأزري
فدعني وربي يا خصيمي ومكفري
عداوةُ قومٍ جرَّدوا كلَّ خنجرِ
وإن المهيمن يعلمن كلَّ مضمرِ
ويعلمُ ربي كلَّ ما في تصوُّري
وللناس آراءٌ بقدرِ التبصُّرِ
عليه بأقوال الضلالِ كمفتري
فيا صاح لا تعجلْ هوًى وتدبِّرِ
لِما رَدِفَتْها ظُفْرُ كَشْفِ مَقْشَرِ
وربي معي والله حبي وموثيري
وأهلُ السعادة في الزمانِ المؤخَّرِ

وما بقيتُ في طينهم ريحُ عفةٍ
وقد كُفِّرَتْ قبلي صحابةُ سيدي
يُسِرُّون إيدائي لجنِّ قلوبهم
يفرُّون مني كالثعالبِ خشيةً
ومنهم حِراسُ للنضالِ عداوةً
قد استترتْ أنوارُهم من تعصَّبِ
فأعرضنا عنهم وعن أرجائهم
ووالله إنا لا نخافُ شرورهم
وما إن أخاف الخلق في حكم خالقي
وإن المهيمن يعلمن كلَّ مضمرِ
ولو كنتُ مفتريا كذوبا لضرِّي
بوجه المهيمن لستُ رجلا كافرا
ولستُ بكذابٍ وربي شاهدٌ
وأعطيتُ أسراراً فلا يعرفونها
فسبحان ربِّ العرشِ عما تقولوا
وما أنا إلا مسلمٌ تابعُ الهدى
ولكن علومي قد بدا لبُّ لبِّها
لقد ضلَّ سعياً من أتاني مخالفاً
ويعلو أولو الطغوى بأول أمرهم

لصدقت أقوالي بغير تحيرٍ
 لأصبحت في نعمائه المستكثرِ
 صدودك سمٌّ يا قليلَ التفكرِ
 فجرّبه تمرينًا بحرِقٍ مسعرٍ
 وإنك في داءِ عُضالٍ كمُحصِرٍ
 خَفَّ اللهُ وأقبلَ تُخَفَ وعظِ المذكرِ
 تدلُّ شيخٍ أو تظاهرُ معشيرِ
 تبادتْ ليالي الجورِ يا ربَّ فأنصرِ
 فنجَّ عبادك من وبالٍ مدمرٍ
 وإسرافنا فاغفرْ وأيدْ وعزِّرِ
 فلا تطردِ الغلمانَ بعدَ التخيرِ
 ونستغفرنك مستغِيثينَ فاغفرِ
 أتركني في كفِّ خصمٍ مُحسّرِ
 تعالَ بفضلٍ من لدنك وبشرِ
 وقد كنتَ من قبلِ المصائبِ مُحبرِ
 ويأطرُ قلبي حُبُّكَ المتكثِرِ
 فوفِّقْ لآخرَ من خلوصٍ ويسرِ
 تعالَ إلى عبدٍ ذليلٍ مُكفرِ
 وقد كنتَ في المضمارِ تُرسي ومأزري

ولو كنتَ من أهلِ المعارفِ والهدى
 ولو جفنتني من خوفِ ربِّ محاسبٍ
 ألا لا تُضعُ وقتَ الإنابةِ والهدى
 وإن كنتَ تزعمُ صبرَ جسمِكَ في اللظى
 وما لك لا تبغي المعالجَ خائفًا
 فيا أيها المرخي عِنانَ تعصبٍ
 وخَفْ نارَ يومٍ لا يَرُدُّ عذابها
 سئمنا تكاليفَ التطاولِ من عدا
 وأنتَ رحيمٌ ذو حنانٍ ورحمةٍ
 رأيتُ الخطايا في أمورٍ كثيرةٍ
 وأنتَ كريمٌ الوجهِ مولى مُجاملٍ
 وجنناك كالموتى فأحيِ أمورنا
 إلى أيِّ بابٍ يا إلهي تُردُّني
 إلهي فدتك النفسُ أنتَ مقاصدي
 أعرضتَ عني لا تكلمُ رحمةً
 وكيف أظنُّ زوالَ حُبِّكَ طرفَةً
 وجدتُ السعادةَ كلها في إطاعةٍ
 إلهي بوجهك أدركِ العبدَ رحمةً
 ومن قبلَ هذا كنتَ تسمعُ دعوتي

إِلَهِي أَغِيثِي يَا إِلَهِي أَمِدِّي
 أَرِنِي بِنُورِكَ يَا مَلَاذِي وَمَلَجَتِي
 وَخُذْ رَبِّ مَنْ عَادَى الصَّلَاحَ وَمَفْسَدًا
 وَكُنْ رَبِّ حَنَانًا كَمَا كُنْتَ دَائِمًا
 وَإِنَّكَ مَوْلَى رَاحِمٌ ذُو كِرَامَةٍ
 أَرَى لَيْلَةً لِيَلَاءَ ذَاتَ مَخَافَةٍ
 وَفَرَجٌ كُرُوبِي يَا كَرِيمِي وَنَجِّي
 وَليستُ عَلَيْكَ رَمُوزُ أَمْرِي بِعُمَّةٍ
 زَلَالُكَ مَطْلُوبٌ فَأَخْرِجْ عُيُونَهُ
 وَجَدْنَاكَ رَحْمَانًا فَمَا إِلَهُمُ بَعْدَهُ
 وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ كُلُّهُ

وَبَشِّرْ .مَقْصُودِي حَنَانًا وَخَبِّرْ
 نَعُودُ بِوَجْهِكَ مِنْ ظَلَامٍ مُدْعَشِرِ
 وَنَزَلْ عَلَيْهِ الرَّجْزَ حَقًّا وَدَمْرِ
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ غَادَرْتُ عَهْدًا فَذَكِّرْ
 فَبَعْدُ عَنِ الْغُلْمَانِ يَوْمَ التَّشْوِيرِ
 فَهَنِّي وَبَشِّرْنَا بِيَوْمِ عَبْقَرِي
 وَمَزِّقْ خَصِيمِي يَا إِلَهِي وَعَفِّرْ
 وَتَعْرِفُ مَسْتُورِي وَتَدْرِي مَقَعَّرِي
 جَلَالُكَ مَقْصُودٌ فَأَيِّدْ وَأَظْهِرْ
 نَعُودُ بِنُورِكَ مِنْ زَمَانٍ مُكْوَرِ
 لَرَبِّ كَرِيمٍ قَادِرٍ وَمَيَسِّرِ

من المؤلف

إِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُم كَذُكَاةٍ قَدْ تَوَرَّوْا وَجْهَ الْوَرَى بَضِيَاءِ
 تَرَكُوا أَقْرَابَهُمْ وَحُبَّ عِيَالِهِمْ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ كَالْفُقَرَاءِ
 ذُبِحُوا وَمَا خَافُوا الْوَرَى مِنْ صَدَقِهِمْ بَلْ آثَرُوا الرَّحْمَانَ عِنْدَ بِلَاءِ
 تَحْتَ السِّيُوفِ تَشْهَدُوا لِحُلُوصِهِمْ شَهِدُوا بِصَدَقِ الْقَلْبِ فِي الْأَمَلَاءِ
 حَضَرُوا الْمَوَاطِنَ كُلَّهَا مِنْ صَدَقِهِمْ حَفَدُوا لَهَا فِي حَرَّةِ رَجُلَاءِ
 الصَّالِحُونَ الْخَاشِعُونَ لِرَبِّهِمْ الْبَايِتُونَ بِذِكْرِهِ وَبِكَاءِ
 قَوْمٍ كِرَامٍ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ كَانُوا لِحَيْرِ الرَّسْلِ كَالْأَعْضَاءِ
 مَا كَانَ طَعْنُ النَّاسِ فِيهِمْ صَادِقًا بَلْ حَشِئَتْ نَشَأَتْ مِنَ الْأَهْوَاءِ
 إِنِّي أَرَى صَحْبَ الرَّسُولِ جَمِيعَهُمْ عِنْدَ الْمَلِيكِ بَعَزَوْ قَعَسَاءِ
 تَبِعُوا الرَّسُولَ بِرَحْلِهِ وَثَوَاءِ صَارُوا بِسُبُلِ حَيِّبِهِمْ كَعَفَاءِ
 نَهَضُوا لِنَصْرِ نَبِينَا بِوَفَاءِ عِنْدَ الضَّلَالِ وَفِتْنَةِ صَمَاءِ
 وَتَخَيَّرُوا لِلَّهِ كُلَّ مَصِيْبَةٍ وَتَمَلَّلُوا بِالْقَتْلِ وَالْإِجْلَاءِ
 أَنْوَارُهُمْ فَاقَتْ بِيَانَ مَبِيْنٍ يَسُوْدُ مِنْهَا وَجْهُ ذِي الشَّحْنَاءِ
 فَانظُرْ إِلَى خِدْمَاتِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ وَدَعِ الْعِدَا فِي غُصَّةٍ وَصَلَاءِ
 يَا رَبِّ فَارْحَمْنَا بِصَحْبِ نَبِيِّنَا وَاغْفِرْ وَأَنْتَ اللَّهُ ذُو الْآلَاءِ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَوْ قَدَرْتُ وَلَمْ أُمْتُ لَأَشَعْتُ مَدْحَ الصَّحْبِ فِي الْأَعْدَاءِ
 إِنَّ كُنْتُ تَلَعْنَهُمْ وَتَضَحَّكَ حِسَّةً فَارْقُبْ لِنَفْسِكَ كُلَّ اسْتِهْزَاءِ
 مَنْ سَبَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ فَقَدْ رَدَى حَقُّ فَمَا فِي الْحَقِّ مِنْ إِخْفَاءِ

الوصية

إنَّ من المشهود أن القدح يوجب القدح، والمدح يوجب المدح. فإنك إذا قلتَ لرجل إنَّ أباك رجل شريف صالح، فلن يقول لأبيك إنه شرير طالح، بل يرضيك بكلام زكاه، ويمدح أباك كمثله مدح مدحتَ به أباه، بل يذكره بأصفاه وأعلاه، وأما إذا شتمتَ فيكلم كما كلمتَ. فكذلك الذين يسبون الصديق والفاروق، فإنما هم يسبون عليًّا ويؤذونه ويضيعون الحقوق. فإنك إذا قلتَ إنَّ أبا بكر كافر، فقد هيَّجتَ محبَّ الصديق الأكبر لأن يقول إنَّ عليًّا أكفر؛ فما شتمتَ الصديق، بل شتمتَ عليًّا وجاوزتَ الطريق. وإنك لا تسبُّ أبا أحد لئلا يسبوا أباك، وكذلك لا تشتم أمَّ من عاداك، ولكن لا تبالي عزَّة بيت النبوة، ولا تعصمهم من سوء هذه السلسلة، ولا تنظر إلى فساد النتيجة مع دعاوي التشيع وتصلف المحبة، فكل ذنب السبِّ على عنقك يا عدو آل رسول الله والخمسة المطهرة ومتطعاً بطباع المنافقين.

الشيخ عبد الحسين الناكفوري

سأل عني بعض الناس في أمر الشيخ عبد الحسين ناكفوري، وقالوا إنه يدّعي أنه نائب المهدي الموعود، وأنه من الله رب العالمين. فاعلموا أنني ما توجهتُ إلى هذا الأمر، وما أرى أن أتوجه إليه، ويجرد الله كلَّ حقيقة من أستارها، وكلَّ شجرة تُعرَف من ثمارها، فستعرفون كل شجرٍ من ثمره إلى حين. والذي اتّبعتنا في مشربنا فهو منّا، والذي لم يتّبع فهو ليس منّا، وسيحكم الله بيننا وبينهم وهو أحكم الحاكمين. إن الذين ييسطون يديهم إلى عرض الصحابة ويجسبون صحبَ رسول الله ﷺ من الكفرة الفجرة، أولئك ليسوا منا ولسنا منهم، فرقوا دين الله وكانوا كالمفسدين. أولئك الذين ما عرفوا رسول الله حق المعرفة، وما قدروا حق قدر خير البرية، فقالوا إن صحبه أكثرهم كانوا فاسقين كافرين. ما اتقوا الفواحش، وخانوا كل خيانة، ما ظهر منها وما بطن، وكانوا منافقين. فصرف الله قلوبهم عن الحق، يتكبرون في الأرض بغير الحق، يقولون نحن نحب آل رسول الله وما كانوا مُحبّين.

يريدون أن يُرضوا قومهم بالسب والشتم، والله أحقُّ أن يُرضوه إن كانوا مؤمنين. ألا إثم على الباطل، ألا إثم من المفسدين. وغشيتهم من التعصب ما غشيتهم فانتنوا كالعمين. فلن يكون منهم وليُّ الرحمن أبدًا، ولهم عذاب أليم في الآخرة، وهم من المحرومين. إلا الذين تابوا وأصلحوا وطهّروا قلوبهم وزكّوا نفوسهم، وجاءوا رب العرش

مخلصين، فلن يضيع الله أجرهم ولن يُلحقهم بالمخذولين. وتجدون أنوار عشق الله في جباههم، وآثار رحمة الله في وجوههم، وتجدونهم من المحبين الصادقين. كُتِبَ في قلوبهم الإيمان، وحِيلَ بينهم وبين شهواتهم، فلا يتبعون النفس إلا الحق، وخرّوا على حضرة الله متضرعين. وبنوا محبوبهم بنيانا في قلوبهم، وبرزوا له متبتلين. يتبعون أحسنَ ما أنزلَ إليهم من ربّهم، ويتقون حق التقاة، فتراهم كالميتين. يجتنبون سبَّ الناس وغيباتهم، ويتقون الفواحش مُستغفرين. ويتبعون الرسول حق الاتباع فتراهم فيه كالفانين. وكذلك تعرف الفاسقين بسيماهم وشركهم وتتنّ كذبهم، وما للأسود والثعالب يا معشر السائلين؟

ثم اعلموا أن معرفة الأولياء موقوفة على عين الاتقاء، فلا تجترئوا ولا تعجلوا على أحد، فتنقلبوا مجرمين. وسارعوا إلى حسن الظن ما استطعتم، وأحسنوا والله يحب المحسنين. ولا يجرمتمكم شقاق أحد أن تعادوا قوماً صالحين. إن الله يمنّ على من يشاء من عباده، ولا يُسأل عما يفعل، فلا تنكروا كالمجترئين. ولا تستخفوا سبَّ أولياء الله، إنهم قوم يغضب الله لهم، ويصول على معاديتهم، وإنهم من المنصورين. ولا تجاوروهم إلا بالتي هي أحسن، ولا تجترئوا ولا تعتدوا إن كنتم متقين. ومن عادى صادقاً فقد مسّته نفحة من العذاب، فيا حسرة على المستعجلين! وإن كان أحد منكم يُعادي الصادق فأعِظْهُ أن يعود لمثله أبداً إن كان من المتورّعين.

ومن جاءه الحق فلم يقبله وزاورَ ذاتَ الشمالِ فسيبكي أسفاً،
وما كان الله مُهْلِكَ قومٍ حتى يُتَمَّ حِجَّتُهُ عليهم، فإذا أبوا فيأخذهم
ملكٌ مقتدرٌ، فاتقوه يا معشرَ الغافلين.

المكثوب إلى علماء الهند

فمنهم المولوي عبد الجبار الغزنوي، والمولوي عبد الرحمن اللكوكوي، والمولوي غلام دستكير القصورى، والمولوي مشتاق أحمد اللودهيانوي، والمولوي محمد إسحاق البتيالوي، والقاضي سليمان، والمولوي رشيد أحمد الكنكوي، والمولوي محمد بشير البوفالوي، والمولوي عبد الحق الدهلوي، والمولوي نذير حسين الدهلوي، والشيخ حسين عرب البوفالوي، والحافظ عبد المنان الوزيرابادي، والمولوي شاه دين اللودهانوي، والمولوي عبد المجيد الدهلوي، والمولوي عبد العزيز اللوديانوي، والمولوي عبد الله تلوندي، والمولوي نذير حسين الأنيتوي السهارنفوري.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي يُطلع القمر بعد دُجى المحاق، ويُغيث بعد المحل بالبُعاق، ويرسل الرياح بعد الاحتباس، ويهدي عباده بعد وساوس الخناس، ويُظهر نوره عند إحاطة الظلمات، وينزل رُشدًا عند طوفان الجهلات؛ والصلاة والسلام على سيد الرسل وخير الكائنات، وأصحابه الذين طهّروا الأرض من أنواع الهنات والبدعات، وآله الذين تركوا بأعمالهم أسوة حسنة للطيبين والطيبات، وعلى جميع عباد الله الصالحين.

أما بعد.. فيا عباد الله، إنكم أنتم تعلمون أن ريح نفحات الإسلام كيف ركدت، ومصايحه كيف خبت، والفتن كيف

عمّت وكثرت، وأنواع البدع كيف ظهرت وشاعت، وقد مضى رأس المائة الذي كنتم ترقبونه، ففكروا لِمَ ما ظهر مجدد كنتم تنتظرونه؟ أظنتم أن الله أخلفَ وعده أو كنتم قومًا غافلين؟ فاعلموا أن الله قد أرسلني لإصلاح هذا الزمان، وأعطاني علم كتابه القرآن، وجعلني مجددًا لأحكم بينكم فيما كنتم فيه مختلفين. فِلِمَ لا تطيعون حَكَمَكُم وِلِمَ تصولون منكرين؟ وما كنتُ من الكافرين ولا من المرتدين، ولكن ما فهمتم سرَّ الله، وحرار فهمكم، وفرط وهمكم، وكفرتموني، وما بلغت معشار ما قلتُ لكم، وكنتم قومًا مستعجلين. ووالله إني لا أدعي النبوة ولا أجاوز الملة، ولا أغترف إلا من فضالة خاتم النبيين. وأؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأصلي وأستقبل القبلة، فِلِمَ تكفروني؟ ألا تخافون الله رب العالمين؟

أيها الناس لا تعجلوا عليّ، ويعلم ربّي أيّ مسلم، فلا تُكفروا المسلمين. وتدبّروا صحف الله، وفكروا في كتاب مبین. وما خلقكم الله لتكفروا الناس بغير علم، وتتركوا طرق رفق وحلم وحسن ظن، وتلعنوا المؤمنين. لِمَ تخالفون قول الله وأنتم تعلمون؟ أحلقتم لتكفير المؤمنين أو شققتم صدورنا، ورأيتم نفاقنا وكفّرنا وزورنا؟ فأیها الناس، توبوا توبوا وتندموا، ولا تغلّوا في ظنكم ولا تُصروا، واتقوا الله ولا تجترّوا ولا تياسوا من روح الله، وإنه لا يُضیع أمة خیر المرسلين. خلّق الناس ليعبدوا، وأرسل الرسل ليعرفوا، وليحكم فيما اختلفوا، وبيّن الأحكام ليطيعوا ويؤجروا، وبعث المجددين ليذكّر

الناس ما ذهلوا، ودقق معارفهم لئيتلوا، وليعلم الله قوماً أطاعوا وقوماً أعرضوا، وشرع البيعة لأهل الطريقة ليتوارثوا في البركات ويتضاعفوا، وأوجب عليهم حسن الظن ليجتنبوا طرق الهلاك ويُعصموا، وفتح أبواب التوبة ليرحموا ويُغفروا، والله أوسع فضلاً ورحماً وهو أرحم الراحمين. وما كان لي أن أفترى على الله، والله يُهلك قوماً ظالمين.

وإني سُميتُ عيسى ابن مريم بأحكام الإلهام، فما كان لي أن أستقيل من هذا المقام بعدما أقامني عليه أمر الله العلام، وما أراه مخالفاً لنصوص كتاب الله ولا آثار خير المرسلين. بل زلتُ قدمكم، وما خشيتم ندمكم، وما رجعتم إلى القرآن، وما أمتعتم في الآثار حق الإمعان، وتركتم طرق الرشد والسدد، وملتم إلى التعصب والدد، وغشيتكم هوى النفس الأمّارة، فما فهمتم معاني العبارة، ووقفتم موقف المتعصبين. يا حسرة عليكم! إنكم تنتصبون لإزراء الناس، ولا ترون عيوب أنفسكم من خدع الخناس، وتمايلتم على الدنيا وأعراضها غافلين. والله إن جمع الدنيا والدين أمرٌ لم يحصل قط للطالبيين، وإنه أشد وأصعب من نكاح حُرّتين ومعاشرة ضرّتين، لو كنتم متدبرين.

اعلموا أن لباس التقوى لا ينفع أحداً من غير حقيقة يعلمها المولى، وما كلُّ سوداء تمرّة ولا كلُّ صهباء حمرة، وكم من مزورٍ يعتلق برب العباد، اعتلاق الحرباء بالأعواد، لا يكون له حظ من ثمرتها، ولا علم من حلاوتها! وكذلك جعل الله قلوب المنافقين؛

يصلُّون ولا يعلمون ما الصلاة، ويتصدقون وما يعلمون ما الصدقات، ويصومون وما يعلمون ما الصيام، ويحجُّون وما يعلمون ما الإحرام، ويتشهدون وما يعلمون ما التوحيد، ويسترجعون ولا يعرفون مَنْ المالك الوحيد، إنْ هم إلا كالأنعام بل من أسفل السافلين.

وأما عباد الله الصادقون، وعشَّاقه المخلصون، فهم يصلون إلى لبِّ الحقائق، ودُّهن الدقائق، ويغرس الله في قلوبهم شجرة عظمتها ودوحة جلاله وعزَّته، فيعيشون بمحبته ويموتون لمحبتة، وإذا جاء وقت الحشر فيقومون من القبور في محبته. قوم فانون، والله موجعون، وإلى الله متبتلون، وبتحريكه يتحركون، وبانطاقه ينطقون، وبتبصيره يبصرون، وبإيمائه يُعادون أو يُوالون. الإيمان إيمانهم، والعدم مكافهم، سِتِّروا في ملاحف غيرة الله فلا يعرفهم أحد من المحجوبين. يُعرفون بالآيات وخرق العادات والتأييدات من ربِّ يتولاهم، وأنعمَ عليهم بأنواع الإنعامات. يدركهم عند كل مصيبة، وينصرهم في كل معركة بنصر مبین. إنهم تلاميذ الرحمن، والله كان لهم كالتقوابل للصبيان، فيكون كل حركتهم من يد القدرة، ومن مُحركٍ غاب من أعين البريَّة، ويكون كل فعلهم خارقا للعادة، ويفوقون الناس في جميع أنواع السعادة؛ فصبرهم كرامة، وصدقهم كرامة، ووفائهم كرامة، ورضائهم كرامة، وحلمهم كرامة، وعلمهم كرامة، وحيائهم كرامة، ودعائهم كرامة، وكلماتهم كرامة، وعبادتهم كرامة، وثباتهم كرامة؛ وينزلون من الله بمنزلة لا يعلمها الخلق.

وإنهم قوم لا يشقى جليسهم، ولا يُرَدُّ أنيسهم، وتجدر رياء المحبوب في مجالسهم، ونسيم البركات في محافلهم، إن كنتَ لستَ أحشَمَ ومن المحرومين. وينزل بركات على جدرانهم وأبوابهم وأحبابهم، فتراها إن كنتَ لستَ من قوم عمين.

أيها الناس.. قد تقطعت معاذيركم، وتبينت دقاريركم، وأقبلتم عليَّ إقبالَ سفاكٍ، ولكن حفظني ربِّي من هلاك، فأصبحتُ مظفراً ومن الغالبين. أيها الناس.. قد اعتديتم اعتداءً كبيراً فاحشوا عليماً خبيراً، ولا تجعلوا أنفسكم بنحها وجحها كعظام استخرجت محها، ولا تعثوا في الأرض معتدين. وإني امرؤ ما أبالي رفعة هذه الدنيا وخفضها، ورفعها وخفضها، بل أحنّ إلى الفقر والمتربة، حينئذٍ الشحيح إلى الذهب والفضة، وأتوق إلى التذلل توقان السقيم إلى الدواء، وذي الخصاصة إلى أهل الثراء، وأتوكل على الله أحسن الخالقين. وما أخاف حصائد السنة، وغوائل كلم مزخرفة، ويتولاني ربي ويعصمني من كل شرٍّ ومن فتن المعاندين.

أيها الناس، لا تتبعوا من عادى، وقوموا فرادى فرادى، ثم فكروا إن كنتُ على حق، وأنتم لعنتموني وكذبتموني وكفرتموني وآذيتموني، فكيف كانت عاقبة الظالمين؟ وما اقتبلتُ أمر الخلافة إلا بحُكم الله ذي الرأفة، وإني بيدي ربي الدابل، كصبي في أيدي القوابل، وقد كنت محزوناً من فتن الزمان، وغلبة النصارى وأنواع الافتنان، فلما رأى الله استطارَةَ فرقي واستشاشة قلقي، ورأى أن قلبي ضجر، ونهر الدموع انفجر، وطارت النفس شعاعاً، وأرعدت

الفرائص ارتياعا، فنظر إليّ تحنناً وتلطفاً، وتخيّرني ترهما وتفضلا، وقال: "إِنِّي جَاعِلُكَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"، وقال: "أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَخْلِفَ فَخَلَقْتُ آدَمَ"، فهذا كله من ربي، فلا تحاربوا الله إن كنتم متقين. يفعل ما يريد، أنتم تعجبون؟ وإني قبلتُ أني أذلُّ الناس وأني أجهلُ الناس كما هو في قلوبكم، ولكن كيف أردّ فضل أرحم الراحمين؟ وما تكلمتُ قبلا في هذا الباب، بل عندي شهادة من الآثار والكتاب، فهل أنتم تقبلون؟ أما ترون كيف بيّن الله وفاة المسيح، وصدّقه خيرُ الرسل بالتصريح، وردّفهما تفسيراُ ابن عباس كما تعلمون؟ أيها الناس، ثم أنتم تنكرون وتتركون قول الله ورسوله ولا تخافون، وتُكَيِّبون على لفظ النزول وتعلمون معناه من زُبر الأولين. وما قصّ الله عليكم قصّةً إلا وله مثالٌ ذُكر في صحف السابقين. فكيف الضلال وقد خلت لكم الأمثال؟ أتذرون سبل الحق متعمدين؟ وقال الله: ورزقكم في السماء، وأخبركم عن نزول الحديد واللباس والأنعام وكل ما هو تحتاجون إليه، وتعلمون أن هذه الأشياء لا تنزل من السماء بل يحدث في الأرضين. فما كان إلا إشارة إلى نزول الأسباب المؤثرة من الحرارة والضوء والمطر والأهوية، فما لكم لا تتفكرون وتستعجلون؟ تعلمون ظاهر الأشياء وتنسون حقائقها وتمرون على آيات الله غافلين. وإن كنتم في شك من قولي فانتظروا مالَ أمري وإني معكم من المنتظرين. وكم من علوم أخفاها الله ابتلاءً من عنده، فاعلموا أن السر مكنون، وما في يديكم إلا ظنون، فلا تكفروني لظنونكم يا معشر المنكرين. انتهوا

خيراً لكم، وإني طبتُ نفساً عن كل ما تفعلون من الإيذاء والتحقير والتكذيب والتكفير، وما أشكو إلا إلى الله، بل لما بصرتُ بانقباضكم وتجلّي لي إعراضكم، علمتُ أنه ابتلاء من ربي، فله العُتْبَى حتى يرضى، وهو أرحم الراحمين. فذكرتُ ربّاً جليلاً، وصبرتُ صبراً جميلاً، ولكنكم ما اهتديتم، وظلمتم واعتديتم، قال الله ﴿لَا تَنَابَرُوا﴾، فنبزتم، وقال ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾، فسخرتم، وقال ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كُنْ هَذَا الْوَعْدَ الَّذِي لَكَ بِرَبِّكَ﴾، فأنكرتم، وقال ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّا نَسُوا﴾، فظننتم وكفرتُموني ولعنتم، وقال ﴿لَا تَجَسَّسُوا﴾، فتجسسستم، ثم صعرتُم وعبستم، وقال ﴿لَا يَعْتَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، وقال ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، فاغتبتُم وكفرتُم، وما أراكم إلى هذا الحين منتهين. أنسيتم أخذَ الله وضغطةَ القبر، أو لكم براءة في الزبر، أو أُذِنَ لكم من الله رب العالمين؟

فكروا ثم فكروا، أتفتي قلوبكم أن الله الذي يعينكم عند كل تردّد هو أقوى مثل هذا الزمان عن مجدد؟ وقد كنتم تستفتحون من قبل، فلما جاء نصر الله صرتم أول المعرضين. ولويتُم عني عذاركم، وأبديتُم ازوراركم، وصرفتُم عني المودة، وبدلتُم بالبغض المحبة، وذاب حسن ظنكم واضمحَلَّ، ورحل حبكم وانسلَّ، وصرتم أكبر المعادين. فلما رأيتُ أعراضَ التزوير وانتهاء الأمر إلى التكفير، علمتُ أن مخاطبتي بهذه الإخوان مجلبة للهوان، فوجهتُ وجهي إلى أعزة العرب والمتفقيهِين. وإني أرى أنهم يقبلونني ويأتونني ويعظّمونني،

فسرّني مرأى هذه الوجوه المباركة، ودعاني التفاؤل بتلك الأقدام المبشرة إلى أن عمدت لتنميق بعض الرسائل في عربي مبين. فهَمَّمتُ لنفع تلك الإخوان بأن أكتب لهم بعض أسرار العرفان، فألفتُ "التحفة" و"الحمامة"، و"نور الحق" و"الكرامة"، ورسالة "إتمام الحجّة" وهذه "سِرّ الخلافة"، وفيها منافع للذين وردتْ منهم مورد الكافرين. وأرجو أن يغفر ربي لكل من يأتيني كالمقترفين المعترفين.

ألا تنظرون وما بقي من حُلل الدين إلا أطمارًا محرّقة، وما من قصره إلا أطلالا محرّقة، وكُنّا مُضغّة للماضغين. أتعجبون من أن الله أدرككم بفضله ومنته، وما أضحكم عن ظل رحمته؟ أكانت لهذا الزمان حاجة إلى دجال، وما كانوا محتاجين إلى نصرة رب فعال؟ ما لكم كيف تخوضون؟ أين ذهبت قوة غور العقل وفهم النقل، وأين رحلت فراستكم، وأي آفة نزلت على بصيرتكم، أنكم لا تعرفون وجوه الصادقين والكاذبين؟ وقد لبثتُ فيكم عُمراً من قبله أفلا تعقلون؟ وإن رجلا يبذل قواه وكل ما رزقه الله وآتاه، لإعانة مذهب يرضاه، حتى يُحسب أنه أهله وذراه، وقد رأيتم مواساتي للإسلام، وبذلَ جهدي لملة خير الأنام، ثم لا تبصرون. وعرضتُ عليكم كل آية قُبلاً، ثم لا تنظرون. وإني جئتكم لأُنجيكم من مكر مُرْمِضٍ وروعٍ مُومِضٍ، ثم أنتم لا تفكرون. وعزوتم إليّ ادعاء النبوة، وما خشيتم الله عند هذه الفرية، وما كنتم خائفين. ولا تفهمون مقالي، وتحسبون أجاجاً زلالِي، ولا تعقلون. وكيف يفهم الأسرار الإلهية من سدل ثوب الخيلاء، وعدل عن الحق بمجذبات الشحناء،

ورضي بالجهلات، ومال إلى الخزعبلات، وأعرض عن الصراط كالعمين؟

وتقولون إعراضاً عن مقالتي، وإظهاراً لضلّالتي، إن الملائكة ينزلون إلى الأرض بأجسامهم ويُقَوُّون أماكن مقامهم، ويتركون السماوات خالية، وربما ثمرٌ عليهم برهة من الزمان لا يرجعون إلى مكان، ولا تقربونه* لتمادي الوقت على وجه الأرض لإتمام مهمات نوع الإنسان، ويضيعون زمان السفر بالبطالة كما هو رأي شيخ البطالة؛ وإنه قال في هذا الباب مجملاً، ولكن لزمه ذلك الفساد بدهاءة، فإن الذي محتاج إلى الحركة لإتمام الخطة، فلا شك أنه محتاج إلى صرف الزمان لقطع المسافة وإتمام العمل المطلوب من هذا السفر ذي الشأن، فالحاجة الأولى توجب وجود حاجة ثانية، فهذا تصرفٌ في عقيدة إيمانية. ثم من المحتمل أن لا يفضل وقت عن مقصود، ويبقى مقصود آخر كموعود؛ فانظر ما يلزم من المحذورات وذخيرة الخزعبلات، فكيف تخرجون من عقيدة إيمانية إلى التصرفات والتصريحات، وأنتم تعلمون أن وجود الملائكة من الإيمانيات، فنزولهم يشابه نزول الله في جميع الصفات. أيقبل عقلٌ إيمانيٌّ أن تخلو السماوات عند نزول الملائكة ولا تبقى فيها شيء بعد هذه الرحلة؟ كأن صفوفها تقوضت، وأبوابها قُفلت، وشؤونها عطلت، وأمورها قُلبت، وكل سماء أُلقت ما فيها وتخلت. إن كان هذا هو

* هذا سهو الناسخ والصحيح "يقربونه". (الناشر)

الحق فأخرجوا من نصٍّ إن كنتم صادقين. ولن تستطيعوا أن تخرجوا ولو متم، فتوبوا واتقوا الله يا معشر المعتدين.

اعلموا أن الدراية والرواية توأمان، فمن لا يراهما بنظر واحد فيقع في هوة الخسران، ويُضيع بضاعة العرفان، ثم بعد ذلك يُضيع حقيقة الإيمان ويلحق بالخاسرين. ومن خصائص ديننا أنه يجمع العقل مع النقل، والدراية مع الرواية، ولا يتركنا كالنائمين.

فنسأل الله تعالى أن يُعطينا حقائق الإيمان، ويوطننا ثرى العرفان، ويرزقنا مرأى الجنان بأنوار الجنان، ويُمطينا قرأ الإذعان، لنقتري قري مرضاة رب * الرحمن، ونتخيم بالحضرة ونسلى عن الأوطان، ونُغلس غادياً إلى مرضاة المولى، ونحفد إلى ما هو أنسب وأولى، ونخترق في مسالك العرفان، وننصلت في سِكَكِ حُبِّ الرحمن، ونأوي إلى حصون وثيقة، ومغانٍ أنيقة من صول الشياطين، باتباع النبي الأميِّ خاتم النبيين. اللهم فصلِّ وسلِّم عليه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* هذا سهو الناسخ والصحيح "الرب". (الناشر)

القصة النبوية

نفسِي الفِداء لبدْرِ هاشمي عربي
 نَجَى الوري مِن كل زور ومعصية
 فنورَتْ ملةً كانت كعدوم
 وزحزحتْ دُخناً غشّي على مللٍ
 ونضرتْ شَجَرَ ذكر الله في زمنٍ
 فلاح نورٌ على أرضٍ [◆] مكدّرة
 وما بقى أثرٌ من ظلمٍ وبدعاتٍ
 وكان الوري بصفاء نياتٍ
 له صحبٌ كرام راقٍ ميسمهم
 لهم قلوب كليثٍ غيرٍ مكترثٍ
 وقد أتت منه في تفضيلهم تترًا
 وقد أناروا كمثل الشمس إيمانًا
 فتعسًا لقوم أنكروا شأن رُبّهم
 ولا خروج لهم من قبر جهلاتٍ
 واليوم تسخر بالأحباب من قومٍ
 ومن يؤثرون ذنبًا ولم يخش ربّه

وَدَادَهُ قُربٌ ناهيك عن قُربِ
 ومِن فسوقٍ ومن شركٍ ومن تيبِ
 ضعفًا ورحمتٍ ذراري الجانِّ بالشهبِ
 وساقطتْ لؤلؤًا رطبًا على حطبِ
 محلِّ يُميت قلوبَ الناسِ مِن لعبِ
 حقًا ومزقتْ الأشرارَ بالقُضبِ
 بنورٍ مُهجةٍ خيرِ العجمِ والعربِ
 مع ربّهم العليّ في كلِّ منقلبِ
 وجلّتْ محاسنهم في البدء والعقبِ
 وفضلهم مستبينٌ غيرٌ محتجبِ
 من الأحاديث ما يغني عن الطلبِ
 فإن فخرنا فما في الفخر من كذبِ
 ولا يرجعون إلى صحفٍ ولا كتبِ
 ولا خلاصَ لهم من أمتعِ الحجبِ
 وتبكين يومَ جدّ البين بالكُربِ
 فلا المرءُ بل ثورٌ بلا ذنّبِ

◆ لقد كتب حضرته عليه السلام تحت هذه الكلمة: أي على قلوب. (الناشر)

انظُرْ معارفنا وانظُرْ دقائقنا
 وأعاني ربي لتجديد ملته
 وقلتُ مرتجلاً ما قلتُ من نظمٍ
 وكفى لنا خالقٌ ذو الحمد منانٌ
 وقد جمع هذا النظم من ملحٍ ومن نُخبٍ
 وإني بأرضٍ قد علّتُ نارُ فتنتها
 ومن جفاني فلا يرتاع تبعته
 فأصبحتُ مُقلتي عيينٍ مأوهُما
 أُرجلتُ ظلماً وأرضُ جبي بعيدةٌ
 فعافٍ كرمًا إن أخللتُ بالأدبِ
 وإن لم يُعِنَ فمَن ينجو من العطبِ
 وقلمي مستهلاً القطر كالسُحبِ
 فما لنا في رياض الخلق من أربِ
 يُبمن سيدنا ونجومه النُجبِ
 والفتن تجري عليها جري منسربِ
 بما جفا بل يراه أفضل القُربِ
 يجري من الحزن والألم والشحَبِ
 فيا ليتني كنت فوق الرحل والقُتبِ

